

سوق سبت تنومة في

سروات بني شهر في

العصر الحديث والمعاصر (*)

أ. رشاد بن عبد الله الطيني الشهري

(*) دراسة منشورة في كتاب: بلاد بني شهر وبنو عمرو خلال القرنين (١٣ -

١٤ هـ / ١٩ - ٢٠ م)، لغيثان بن جريس، (الطبعة الرابعة) (الرياض: مطابع

الحميضي، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٣٩٤ - ٤٣٥ .

ثالثاً: سوق سبت تنومة في سروات بني شهر في العصر الحديث والمعاصر. بقلم أ. رشاد بن عبد الله الطنيني الشهري^(١)

م	الموضوع	الصفحة
أولاً :	مقدمة	٣٩٥
ثانياً :	تمهيد	٣٩٥
ثالثاً :	سوق سبت تنومة	٣٩٧
	١. موقعه	٣٩
	٢. تاريخه قبل (١٣٦٥هـ/١٩٤٦هـ).	٣٩٩
	٣. أسماء السوق وسبب التسمية	٤٠٠
	٤. الطرق المؤدية إلى السوق	٤٠٢
رابعاً :	تطور السوق	٤٠٨
	١. السوق كما رآه ويلفرد ثيسجر	٤٠٨
	٢. أقسام السوق	٤٠٩
	أ. ساحة السوق والمباني المحيطة بها	٤١٠
	ب. مداخل السوق	٤١٢
	ج. الجامع القديم	٤١٣
	د. الحوانيت (الدكاكين)	٤١٤
	هـ. قسم بيع المواشي (المجلبة)	٤١٦
خامساً :	الأدوار الحضارية للسوق	٤١٧
	١. الدور السياسي	٤١٧

(١) رشاد بن عبد الله بن علي الطنيني الشهري، من مواليد تنومة عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) درس مراحل تعليمه الأولى في تنومة وبعد حصوله على الثانوية العامة التحق بكلية التربية فرع جامعة الملك سعود في ابها قسم التاريخ وتخرج فيها عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، عمل بالتدريس في تنومة بني شهر، شارك في العديد من الأعمال الادارية والتعليمية خلال مسيرته العلمية، كما حصل على العديد من الدورات التربوية ولديه حوالي (٥٠٠) ساعة تدريبية أغلبها في برامج رعاية الموهوبين، وتولى الاشراف على برامج الموهوبين لأكثر من عشر سنوات في ادارة تعليم النماص، وحصل على درجة الماجستير في التاريخ من كلية العلوم الانسانية بجامعة الملك خالد عام (١٤٢٧هـ/٢٠١٦م).

م	الموضوع	الصفحة
	٢. إدارة السوق	٤١٩
	٣. الدور الاقتصادي	٤٢١
	٤. الدور الاجتماعي	٤٢٨
	٥. الدور التعليمي	٤٣١
سادساً :	الخاتمة	٤٣٤

أولاً : مقدمة :

أرض السروات غنية بتاريخها، وحضارتها، والسائح في مناكب هذه البلاد يجد الكثير من القرى والبلدات التي لها تاريخ قديم وعريق، وأرض تنومة من الأوطان المذكورة في كتب التراث عند الأدباء والشعراء^(١). وفي هذا المبحث سوف أركز على سوقها الرئيسي، وهو سوق سبت تنومة الذي ورد ذكره في كثير من المصادر والمراجع^(٢)، ولا نعرف تاريخ بدايته^(٣)، لكنه دون شك يعود إلى الوراثة عشرات السنين، وحديثي عنه سيكون خلال العصر الحديث والمعاصر^(٤).

ثانياً : تمهيد :

قبل الحديث عن سوق السبت؛ لابد من التعريف ولو بشكل موجز عن مدينة تنومة حاضنة هذا السوق. فالهمداني أول من أشار لتنومة في المصادر الإسلامية المبكرة حيث قال: " ثم سدوان واد فيه قرية يقال لها رحب لبني مالك بن شهر، وتنومة واد فيه ستون قرية أسفله لبني يسار وأعلاه لبلحارث بن شهر، ثم الأشجان قرية كبيرة ليس في السراة قرية أكبر منها بعد الجهة..."^(٥).

(١) هناك ذكر لتنومة في بعض كتب التاريخ واللغة والأدب ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يدرس ما ذكر عنها في كثير من المصادر والمراجع المطبوعة والمنشورة.

(٢) الفاحص لبعض الوثائق أو الكتب في العصر الحديث يجد أن هذا السوق يعد من أكبر الأسواق في أرض السراة، وكيف لا يكون ذلك وتنومة غنية بمواردها الزراعية والحيوانية.

(٣) هناك من أشار إلى قدم تاريخ هذا السوق، لكننا لا نملك مصدراً أو رواية موثوقة تحدد لنا بداية تاريخه.

(٤) كنت أرغب في الكتابة عن هذا السوق خلال القرون الإسلامية الوسيطة لكنني لا أملك مصادر ومراجع موثوقة تعينني على إنجاز هذا العمل فحصرت موضوعي خلال العصر الحديث منذ القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) الهمداني، الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب. [تحقيق]: محمد بن علي الأكويع. مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠م. ص ٢٢٤.

ومما سبق نجد أن الهمداني حدد موقع تنومة بين سدوان وقرى الأشجان^(١). ومن الملاحظ أيضا أنه ذكر أن بها ستين قرية، وهذا دليل على كبر مساحتها، وأنها ذات عمران، وبكل تأكيد فإنها تحظى بأهمية اقتصادية، وبخاصة من الناحية الزراعية، ولولم تكن كذلك لما كان بها هذا العدد الكبير من القرى، ومما ساعد على ازدهارها زراعيًا؛ انبساط أرضها فهي أشبه بالسهل، ووفرة مياهها.

وتقع تنومة على بعد (١٢٥ كم) شمال مدينة أبيها، يحدها من الشرق بادية شهران، ومن الغرب ساحل تهامة، ومن الشمال قرى الظهارة، ومن الجنوب قرى سدوان، ويقدر عدد سكانها بـ (٤٠٠٠٠) نسمة، ومساحتها (٧٧٠ كم^٢)^(٢)، أما أرضها فسهلية وتحيط بها السلاسل الجبلية، وأشهر جبالها جبل منعا وجبل عكران، ويخترقها وادي تنومة الشهير، الذي تصب فيه أودية وشعاب صغيرة من المنحدرات الجبلية، ثم يواصل مسيره إلى وادي بيشة^(٣).

ومن الأودية أيضا وادي ترجس في شرق تنومة حيث تتجمع فيه سيول الأودية الصغيرة والشعاب المنحدرة من الجبال الشرقية. ووادي ترج وهو ليس وادي ترج المعروف، ولكنه أحد روافده، ويقع في شرق تنومة. أما مناخها فمعتدل في الصيف مع هطول أمطار موسمية، وفي الشتاء بارد. وتهطل الأمطار غالباً في بداية الشتاء، وفي فصل الربيع، كما تهطل في فصل الصيف بسبب الرياح الموسمية^(٤).

ومن أهم ثروات تنومة الزراعية والحيوانية ما ذكر الهمداني عندما قال: "وبسراة الحجر البر والشعير والبلس والعتبر واللوبياء واللوز والتفاح والخوخ والكمثرى والإجاص والعسل في غربيها، والبقر وأهل الصيد، وشرقيها من نجد أهل الغنم والإبل وخيل..."^(٥) ومعظم هذه المنتجات الزراعية ما زالت تنتج إلى اليوم؛ رغم انصراف معظم الناس عن الزراعة بشكل كبير بسبب توفر الوظائف، والأعمال التجارية، وأصبحت العمالة الأجنبية هي القائمة بالزراعة، وأكثر ما يزرع اليوم الخضروات بأنواعها^(٦).

(١) وهي ما يعرف اليوم بالظهارة أو وادي نشيان. مشاهدات وجولات الباحث في سروات بني شهر خلال العشرين سنة الماضية.

(٢) ابو عراد، صالح: تنومة الموقع والارض. لجنة التنشيط السياحي. ١٤٢٦ / ٢٠٠٦م. ص ٢٣.

(٣) حيدا ان تفرد رسالة علمية أو كتاب علمي عن تاريخ وحضارة تنومة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيلة، (ابن جريس).

(٤) مشاهدات الباحث خلال ثلاثين عاما الماضية.

(٥) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب. ص ٢٣٥.

(٦) ومن أهم هذه الخضروات الطماطم والخيار والجزر والبطاطا والخضروات الورقية، كما يحرص بعض كبار السن على زراعة القمح، وأما زراعة الذرة البلدية البيضاء فقد تلاشت تقريبا.

وتتمتع تنومة بموقع هام لعدة أسباب منها وقوعها على طريق حجاج بيت الله الحرام القادمين من اليمن، وبلاد السراة من بلاد عسير وشهران وقحطان، وغيرها. وهذا الطريق يعج بالقرى المنتظمة على السراة حتى الطائف، فكان للحجاج مواقع يستريحون فيها ومنها تنومة. وكذلك توسط موقعها بين مدن وقرى السراة، كما تربط بأجزاء من البادية شرقاً وتهامة غرباً. ومع افتتاح طريق أبها الطائف في أواخر القرن الهجري الماضي؛ بدأت تواكب التطور الذي تحظى به بلادنا، من حيث الخدمات، والعمران في كافة الميادين الحضارية، ومنذ عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٤م) أصبحت تنومة محافظة من فئة (ب)، وفيها اليوم العديد من المؤسسات الإدارية مثل: الشرطة، ومركزاً للدفاع المدني، ومركزاً هيئته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومكتب للتربية والتعليم، وبلدية، ومكتب للأوقاف، والزراعة.

وتسكن تنومة قبائل بني شهر، المنتسبين لحجر بن الهنوء، وهم من قبائل الأزدي التي هاجرت من اليمن^(١). ومع مرور الزمن تفرعت القبائل الأصلية إلى قبائل وعشائر كثيرة. وتسكنها اليوم عدة قبائل وعشائر وهم: عشائر الشعفين، وأل دحمان، وأل الصعدي، والعمرة، والجهاضمة، وجبيهه، والعوصاء، وبني جار من نازلة^(٢). وسكن بين بعض هذه القبائل أسر وأفراد من قبائل أخرى من عسير وقحطان وشهران وغيرها، وأصبحوا من قبائل تنومة بالولاء. ومع تطور تنومة وحاجتها إلى الأيدي العاملة الوافدة؛ ازدادت أعداد العمالة في الأربعة عقود الماضية من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م)^(٣).

ثالثاً: سوق سبت تنومة :

١- موقع السوق: للوهلة الأولى نلاحظ أن هذا السوق يقع في وسط تنومة تقريباً؛ ولتحديد موقعه بدقة أكثر استخدم الباحث وسائل التقنية الحديثة للتأكد من ذلك^(٤)، فعند قياس طول تنومة - الحاضرة - من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب وجدنا طولها حوالي (١٠ كم)، ولها من العرض مثل ذلك، وعلى ضوء ذلك يمكن تحديد موقع السوق، فنجده يبعد عن أقصى نقطة من الجنوب (٥, ٥ كم) ومن جهة الشمال يبعد حوالي (٥, ٤ كم)، أما من الشرق إلى الغرب فنجده يبعد عن أقصى نقطة من حدود

(١) ابن جريس، غيثان: بلاد بني شهر وبني عمرو، ط٢. مطابع الحميضي، أبها (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م). ص٦٠.

(٢) ابن جريس: بلاد بني شهر. ص٦١-٦٢.

(٣) مشاهدات الباحث خلال العقود الثلاثة الأخيرة. حبذا يا رشاد أن تفرّد دراسة مستقلة لحياة السكان ونشاطاتهم في محافظة تنومة خلال الخمسين عاماً الماضية (ابن جريس)

(٤) قياس المسافات باستخدام خدمة القياس على خرائط قوقل عبر شبكة الانترنت.

<https://www.google.com.sa/maps/@18.9358831,42.217799,13z>

الدخول للموقع يوم الأربعاء، (١٥/٥/١٤٣٧هـ / ٢٤/٢/٢٠١٦م)، الساعة ٦م.

تنومة شرقاً حوالي (٦ كم) ويبعد عن أقصى نقطة غرباً حوالي (٤ كم). ويستنتج الباحث من ذلك وقوع هذا السوق في قلب تنومة تقريباً، ونجد موقعه مناسباً جداً سواءً للسكان المحليين، أو للقبائل المجاورة لتنومة، ولباقي المناطق في السراة مثل بلاد عسير جنوباً وشهران وقحطان شرقاً، والنماص وبني عمرو وبلقرن شمالاً، والمناطق النهامية البعيدة نوعاً ما عن تنومة، مثل محایل والنفذه والمجاردة، ونتيجة لموقعه هذا كان يحرص التجار من هذه الجهات على ارتياده؛ ليسوقوا بضائعهم فيه ويستبدلوا بسلع أخرى. ويذكر فؤاد حمزة بأن سوق تنومة يقع في قرية آل صفوان^(١). وهذا الكلام غير دقيق لأن قرية آل صفوان إحدى القرى القريبة من السوق، مثلها مثل قرية آل حسين الملاصقة له، ويبعد مكان السوق مستقلاً لا يتبع لأي من القرى المجاورة، وعرف مكان السوق وبيوت أسرة آل عريف وبعض البيوت القريبة منه بقرية سبت تنومة، نسبة للسوق، وقد أورد ذلك سليمان شفيق بقوله: "انما سميت هذه البلدة بسوق السبت؛ لأنه يقام فيها كل يوم سبت..."^(٢)، ويقصد هنا بالبلدة منطقة السوق، ومن ذلك يتضح أن مكان السوق ومحيطه مستقل عن باقي القرى القريبة منه. وما زال يطلق عليها هذا الاسم إلى يومنا هذا^(٣). كما يطلق في الماضي على هذه القرية أيضاً قرية ابن العريف فقد أشار كورنواليس إلى أن: "سبت ابن العريف عبارة عن قرية كبيرة مبنية من الحجر، وتحيط بها التلال..."^(٤). ويذكر محمد عمر رفيع، بعد أن نزل منطقة السوق قوله: "وفيه قرية من قرى الباحة. يقصد منطقة السوق. يقال لها قرية ابن العريف..."^(٥). وقد وصف كورنواليس هذا السوق بقوله: "سبت ابن العريف على بعد (٨ أميال جنوب النماص وهو السوق الرئيسي لبني شهر ومركزاً تجارياً هاماً..."^(٦).

(١) حمزة، فؤاد: في بلاد عسير. مكتبة النصر الحديثة، ط ٢، الرياض ١٩٦٨ م. ص ١٦٢.

(٢) باشا، سليمان شفيق: مذكرات سليمان شفيق، [تحقيق] محمد العقيلي. نادي ابها الأدبي، ١٩٨٤ م. ص ١٧٢.

(٣) أصبح اسم هذه القرية طاغياً على ما حولها من قرى فيطلق سكان تنومة على قرية السبت والقرى الأخرى المجاورة للسوق مثل قرية آل حسين وال صفوان وغيرها من القرى اسم قرى السبت. من ملاحظات ومشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية كونه من أبناء المنطقة.

(٤) كورنواليس، كيناهان: عسير قبل الحرب العالمية الأولى، [ترجمة]: عبد الرحمن عبدالفتاح أبوصلاح. (غير منشور). ص ٥٢. ويدعم ما أشار إليه كورنواليس الصور التي التقطها ويلفرد ثيسجر (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) حيث تظهر المباني الحجرية والتلال المحيطة بالقرية والسوق، وقد أزيلت هذه المباني القديمة والتلال منذ بداية هذا القرن على مراحل؛ لتوسعة السوق. وما زال القليل منها موجود على تلال صغيرة في غرب السوق. زيارة ميدانية للباحث برفقة الأستاذ شبلي بن سعد إلى السوق وما حوله يوم السبت، ١٤٣٧هـ/١٢/٢٠١٦ م. الساعة ٢٠، ٤م.

(٥) رفيع، محمد عمر: في ربوع عسير. مكتبة المعارف، الطائف ١٣٧٢هـ/١٩٥٤ م. ص ١٠٨.

(٦) كورنواليس: عسير، ص ٣٧.

من هذا النص يُلاحظ مدى الأهمية الكبرى لهذا السوق، وأنه السوق الرئيسي لبني شهر، ويتعدى ذلك الى بلاد الحجر فلم يرد ذكر سوق كبير غيره فيها. كما وصفه محمد رفيع بأكبر أسواق بني شهر^(١).

٢. تاريخه قبل (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) :

يعتبر سوق سبت تنومة من الأسواق القديمة في بلاد السراة، ومما يؤسف له عدم وجود ما يثبت بداية تاريخه قبل القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، فالمسألة مسألة نقاش وخلاف بين المؤرخين والباحثين من أبناء المنطقة، فأبو داهش يذكر أن تاريخه منذ القرن الخامس الهجري^(٢)، وأرجع تاريخ انشائه للعام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م)^(٣). وذهب أبو عرّاد إلى الأخذ بهذا القول^(٤). أما ابن جريس فله رأي آخر؛ بأن ذلك غير دقيق، لعدم وجود مصدر أو وثيقة تؤكد ما ذهب إليه هذان الباحثان، وكل ما ذكر لا يعدو كونها روايات شفوية متوارثة لا سند لها^(٥). ويرى الباحث موافقة ابن جريس فيما اشار إليه؛ لعدم وجود أي سند تاريخي يؤكد بداية تاريخ هذا السوق. ومع اختلاف هذه الآراء لا يمكن نفي وجود سوق في تنومة قديما، سواء في مكان هذا السوق، أو في مكان آخر. وبالعودة لما ذكره الهمداني: "تنومة واد فيه ستون قرية...^(٦)". فمن غير المعقول أن تكون حاضرة تضم ستين قرية بلا سوق، أو ربما أكثر من سوق؛ وهذا ما يتوافق مع الطبيعة البشرية في أي مكان يوجد فيه تجمع بشري، فلا غنى لهم عن السوق باعتباره ضرورة للإنسان في أي زمان ومكان. ومن الواضح أنه لم يكن في تنومة سوق مشهور عند مرور الهمداني، ولو كان كذلك لذكره، ولا سيما أن وصفه لتنومة كان وصف المشاهد لا السامع. والحقيقة أن الغموض يكتنف تاريخ

(١) رفيع: في ربوع عسير. ص ١٠٨.

(٢) أبوداهش، عبدالله: أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة. نادي ابها الادبي، ابها ٢٠٠١م. ص ١٠٣.

(٣) أبوداهش، عبدالله: تاريخ أسواق عسير، حوليات سوق حباشة، العدد ٢. منشورات نادي جيزان الادبي، جيزان ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ص ٢٠٦. وأشار إلى السوق بقوله "ومما يؤسف له أنه هدم، ولم يعد له أثر... في حين كان منارا للحياة الدينية والاجتماعية" إن كان يقصد السوق فهذا كلام غير صحيح فما زال السوق قائما إلى اليوم رغم تغير موعد السوق إلى الجمعة، وإن كان يقصد المسجد القديم فهذه حقيقة، فهناك عدم وضوح لمراده، هل يقصد السوق أم يقصد مسجد السوق؟ أم الاثنين معاً؟ ومما يحير أنه قال: "وقد شهدت وأنا في العاشرة من عمري وهو يغص بالمصلين..." ومن المؤكد هنا أنه يقصد المسجد، ولكنه في بداية حديثه تحدث عن السوق.

(٤) معيض، سعيد: سوق سبت تنومة أصالة التاريخ. جريدة الرياض، العدد ١٦٤٦٢، السبت (١١/٩/١٤٣٤هـ، ٢٠ يوليو ٢٠١٣م). انظر ابن جريس، غيثان علي: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٩.

مطابع الحميضي، أبها (١٤٢٧هـ/٢٠١٦م). ص ٢٣٠.

(٥) ابن جريس: القول المكتوب، ج ٩. ص ٢٣٠.

(٦) الهمداني: صفة. ص ٢٣٤.

بلاد الحجر على وجه الخصوص في القرون الاسلامية الوسيطة مما يعقد المهمة على الباحثين. ومن الملاحظ أنه لا يوجد لهذا السوق ذكر في مصادر القرن (١٣هـ/١٩م) رغم إشارة بعضها لمناطق بني شهر ومنها تنومة ودورها السياسي البارز في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري^(١).

أما التاريخ الموثق لسوق سبت تنومة فيعود الى الثلث الاول من القرن الرابع الهجري، وبدايات القرن العشرين الميلادي، والذي اشار اليه في تلك الفترة سليمان شفيق باشا، متصرف لواء عسير في الفترة (١٣٢٦-١٣٣١هـ/ ١٩٠٨م-١٩١٢م)، فوصفه بالسوق العظيم وأن القبائل تقد اليه كل يوم سبت^(٢). وذكره كورنواليس^(٣) بسبت ابن العريف وأشار إلى الطرق المؤدية إليه وبخاصة من جهة تهامة. وذكر بعض السلع المعروضة فيه^(٤)، وتعتبر الفترة من (١٣٢٦-١٣٤٢هـ/ ١٩٠٨م-١٩٢٤م) فترة مليئة بالأحداث السياسية والتاريخية^(٥). ومنذ عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م) دخلت عسير تحت حكم الدولة السعودية الحديثة^(٦). ولم يكتمل ضم أنحائها وضمان ولأء بعض اجزائها- ومنها تنومة- إلا في عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) بعد دخول القوات السعودية تنومة بقيادة خالد ابن لؤي الذي عسكر بها عشرة أيام، وبعد استقرار الأمور فيها ارتحل عنها، وتمت عدة مراسلات بين الملك عبدالعزيز، وابن العريف الذي أبواه أميراً على قبائله^(٧).

٣. أسماء السوق وسبب التسمية؛

أسبت بن العريف: سمي بالسبت لأن موعد التسوق فيه يوم السبت من كل أسبوع، شأنه في ذلك شأن باقي الأسواق الأخرى، سواء في عسير أو في أنحاء جزيرة العرب، والتي يخصص لها يوم في الاسبوع يرتاده الناس؛ للبيع والشراء من مختلف المناطق،

(١) من هذه المصادر: نفع العود للبهكلي، و تاريخ نجد لعثمان بن بشر. كما لا يوجد له ذكر في فترة غزو محمد علي باشا لعسير، ولا سيما انه كان له حامية عسكرية في تنومة.

(٢) سليمان شفيق: مذكرات. ص ١٧٢

(٣) هو الكابتن كيناهان كورنواليس بريطاني الجنسية كان مستشارا للملك فيصل الأول ملك العراق وعمل سفيرا لبريطانيا في العراق من عام (١٩١٦ الى ١٩٢١ م). قام برحلة في عسير قبل الحرب العالمية الاولى، ويذكر ابن جريس بانه كان ضابط مخبرات بريطاني، جاء الى عسير لرفع تقرير عنها، وقد صدر هذا التقرير في كتاب عنوانه: عسير قبل الحرب العالمية الاولى. انظر ابن جريس، غيثان: القول المكتوب، ج ٢. مطابع الحميضي، أبها ١٤٢١هـ/ ٢٠١١م. ص ٢٤٤.

(٤) كورنواليس: عسير. ص ١١- ٣٧

(٥) انظر تفصيلات أكثر في صفحات تالية من هذه الدراسة.

(٦) ابن جريس، غيثان: عسير دراسة تاريخية من (١١٠٠هـ-١٤٠٠هـ). ص ٣٠.

(٧) العميري، فايز بن سالم: الوجيز في تاريخ بلاد بني شهر. الرياض (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧). ص ٦٨.

يقول سليمان شفيق: "... ويقام فيها كل يوم سبت سوق عظيم..."^(١). وأما إضافة (ابن العريف) فنسبة إلى أسرة آل عريف التي تتزعم مشيخة قبائل بني أثلة، ومن أشهر أفراد تلك الأسرة الشيخ شبيلي بن محمد بن العريف^(٢)، ولعل هذه التسمية تخصه بالذات لما كان له من مكانة مرموقة وشخصية قوية^(٣)، وبما أن منزله على مقربة من السوق، فقد حظي برعايته وحمايته المباشرة، وهناك دلالة أخرى لنسبة السوق لابن العريف؛ وهي ما حظيت به هذه الأسرة من احترام ومكانة مرموقة بين القبائل قاطبة، ويعتبر هذا السوق من الأسواق القليلة التي تنسب إلى أشخاص بين أسواق السراة وتهامة الرئيسية التي ذكرها كورنواليس، حيث أشار إلى الأسواق الرئيسية في عسير والباحة وتهامة، ومن ضمنها سبت ابن العريف^(٤)، سجله بهذا الاسم في عدة مواضع من كتابه، وهذا دليل على أن هذا السوق كان يعرف في تلك الفترة بهذا الاسم، وربما عرف بها لفترات أبعد من ذلك، واستمرت هذه التسمية ملازمة للسوق يعرف بها إلى أواخر القرن الهجري الماضي، ثم اضمحلت تدريجياً وحل مكانها تسمية (سوق سبت تنومة)^(٥).

ب. سوق سبت تنومة : سمي بذلك نسبة إلى الحاضرة التي يقع فيها وهي تنومة، وفي الحقيقة يصعب تحديد تاريخ هذه التسمية بدقة، لعدم وجود ما يثبت تاريخ بداية السوق أصلاً، أما تنومة فهي معروفة بهذا الاسم منذ العصور الإسلامية المبكرة، وأول من أشار إليها في المصادر التاريخية الهمداني في كتابه: صفة جزيرة العرب، الذي ذكرها في أكثر من موضع. وبالعودة إلى المصادر التي توثق تاريخ السوق في القرن (الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي). لم يجد الباحث ما يشير إلى تسمية السوق بسبت تنومة، وأنه لا يعرف إلا بسبت ابن العريف، ومن المرجح أنه عرف بهذا الاسم

(١) سليمان شفيق: مذكرات. ص ١٧٢.

(٢) هو الشيخ شبيلي بن محمد بن عبد الوهاب بن العريف، لا يعرف تاريخ ولادته، عاصر كثيراً من الأحداث السياسية الهامة فكان له دوراً في الصراع بين الأدرسي والأتراك، وساهم في حصار قوات الأدرسي في أبها عام (١٢٣٠هـ/١٩١١م)، ثم دخل تحت حكم الدولة السعودية الحديثة عام (١٢٤٢هـ/١٩٢٤م) وأمره الملك عبدالعزيز على قبائله وبقي مرافقاً مع الملك عبدالعزيز حوالي خمسة عشر عاماً ثم عاد إلى تنومة. وتوفي رحمه الله عام (١٢٨٠هـ/١٩٦٠م). وقد تنازل في حياته عن المشيخة لابنه فراج. مقابلة شخصية مع أحد أحفاده وهو شبيلي بن سعد بن شبيلي. في سوق السبت. يوم السبت (١١/٥/١٤٣٧هـ). الساعة ٤ م.

(٣) يعتقد الباحث بأن تسمية (سبت ابن العريف) عرفت من عهد الشيخ شبيلي بن محمد ال عريف. لشهرته ودوره السياسي في تلك الفترة.

(٤) كورنواليس: عسير. ص ١١.

(٥) لم تعد تطلق تسمية سوق ابن العريف منذ نهاية القرن الهجري الماضي وبداية القرن الحالي الا عند كبار السن لتعودهم على ذلك من صغرهم، ومع التطور العمراني والحضاري لتنومة؛ وظهور أجيال جديدة؛ أصبحت تسمية سوق السبت هي الدارجة بين الناس، واندرت تسمية سوق ابن العريف وأصبحت جزءاً من التاريخ.

في فترة الأربعين عاماً الماضية؛ لاضمحلال تسميته بسبت ابن العريف، وأصبح يعرف أكثر بسبت تنومة، ويرجع ذلك إلى تطور تنومة واتساعها عمرانياً، وتوفر الخدمات بها، من بداية القرن (١٥هـ / ٢٠م) ولم تقتصر هذه التسمية على السوق فحسب؛ بل أصبح المكان الذي يحيط بالسوق من قرى ومواقع قديمة، تعرف بقرى سبت تنومة^(١).

ج- سبتان^(٢)؛ وهذا الاسم مشتق من (سبت) أي يوم السبت موعد السوق المعروف، وأطلق عليه هذا الاسم بين عامة الناس كنوع من المديح والتدليل؛ لتوفر أنواع السلع فيه يوم السبت فيقال للشخص إذا أراد سلعة ما (عليك بسبتان)، وفي الغالب أن التسمية محلية بين أبناء تنومة، وربما المناطق المجاورة لها. ويبدو أنها لم تكن مشهورة عند غيرهم، وهي أقل استخداماً من التسميتين السابقتين، ولم يعد لهذه التسمية وجود منذ بداية هذا القرن الهجري^(٣).

٤- الطرق المؤدية إلى السوق:

توجد طرق عدة يسلكها المرتادون للسوق قديماً مرتحلين ظهور دوابهم من إبل وحمير، فهناك طرق للقادمين من البادية شرقاً، وطرق وعرة للقادمين من تهامة غرباً، فلا بد لهم من ارتقاء العقبات الصعبة حتى يصلوا إلى تنومة، وأيضاً هناك طريق السراة المعروف، الذي يمتد من اليمن إلى الطائف مروراً بتنومة وسوق السبت تحديداً. إضافة إلى الطرق المحلية التي تربط قرى تنومة بالسوق. ومن أهم الطرق التي تربط تهامة بتنومة:

أ. عقبة ساقين والطرق التهامية؛ أشار الهمداني في صفة جزيرة العرب لساقين بقوله: "وادي ساقين إلى تهامة فيه محجة الحجر التهامية"^(٤) من ذلك نجد أن هذا الطريق قديم جداً، يسلكه حجاج تهامة^(٥)، وقد يعود تاريخه إلى ما قبل القرن (الثالث الهجري/ العاشر الميلادي). ومن الطبيعي أنه يسلك للتجارة والسفر والتنقل ما بين السراة وتهامة عبر العصور^(٦)، وكان أهل تهامة القريبة من السراة يسلكونه

(١) مشاهدات الباحث في الثلاثة عقود الماضية من القرن الخامس عشر الهجري .

(٢) العميري: الوجيز. ص ٨٧.

(٣) هذا ما سمع به الباحث منذ عام (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ولم يسمع أحداً يطلق على السوق هذا الاسم خلال هذه الفترة إلى يومنا هذا .

(٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب. ص ٢٣٥

(٥) من المتوقع أن الحجاج يصعدون معه إلى السراة إذا صادف موسم الحج في فصل الصيف، لأن طريق الساحل رغم قصره وسهولته درجات الحرارة فيه عالية إضافة إلى نشاط الرياح المثيرة للغبار، فيفضلون الصعود إلى السراة عبر عقبة ساقين ليحفظوا بالأجواء المعتدلة، وتوفر المياه، كما أن الطريق مأهول بالسكان لكثرة القرى عليه، وإذا صادفت مواسم الحج فصل الشتاء، فمن الطبيعي أن يسلكوا طريق الساحل.

(٦) مازالت بعض آثار هذا الطريق القديم موجودة إلى اليوم، من تلك الآثار بناء للأماكن الوعرة حيث يستخدم فيها الأحجار والأخشاب، وما زال بعضها متماسكاً إلى اليوم، ويوجد على بعض الصخور بعض النقوش ورسومات الحيوانات مثل الوعول والغزلان، ورعاة وأغنام. قام الباحث بعدة زيارات للموقع، وآخر زيارة ميدانية كانت يوم الجمعة (١٠/٥/١٤٢٧هـ / ١٩/٢/٢٠١٦م). الساعة ٣م.

أسبوعياً؛ ليرتادوا سوق السبت، حيث يصعدون يوم الجمعة ويبيتون قريباً من السوق؛ استعداداً للتسوق في اليوم التالي^(١). كما كانت تأتي عن طريقه القوافل المحملة بأنواع البضائع القادمة من القنفذة ومن محایل. ويذكر كورنواليس " الطريق رقم (٩)، بين محایل وتنومة، وسلطته محلّيه والاتجاه العام للطريق نحو الجنوب الشرقي بشيء يسير، وطوله بالطائرة (يقصد أفقياً) (٣١ ميل) وعلى الأرض (٤١ ميل) (أي حوالي ٦٦ كم)"^(٢). وأشار محمد رفيع إلى محطات الطريق من تنومة إلى محایل، والمدة الزمنية حيث وصف ساقين بالعقبة السهلة، ومدة النزول منها إلى قرية نعص^(٣) في وادي بقره حوالي خمس ساعات، ثم المسير خمس ساعات إلى محایل، وعشر ساعات من محایل إلى رجال المع^(٤). وذكر كورنواليس أهمية هذه العقبة عند حديثه عن الطريق الذي يربط تنومة بسوق العجمة^(٥)، حيث قال: " الطريق رقم (١٥) بين تنومة وسوق العجمة بالاتجاه نحو الشمال الغربي، حيث يبعد (٥٥) ميلاً (حوالي ٩٠ كم) ومراحل الطريق عبر سهل زراعي مرتفع لمسافة تسعة أميال، عبر بلاد بني شهر (يقصد تنومة) ثم ينحدر عبر ممر عقبة ساقين، وفيها ماء العضوات"^(٦). حيث تأتي القوافل من ميناء القنفذة إلى سوق العجمة والذي يعد مركزاً هاماً لتوزيع البضائع القادمة من الميناء، فبعد إنزال القوافل أحمالها بسوق العجمة، تأتي قوافل أخرى فتحملها إلى الأسواق، ومنها سوق سبت تنومة ثم تواصل المسير إلى بيشة^(٧). وقد صعد الشريف حسين بقواته مع هذه العقبة إلى تنومة، ومنها انطلق إلى أبها؛ لفك الحصار عن متصرف عسير سليمان شفيق باشا، الذي كان تحت حصار الإدريسي ومن معه من قبائل عسير عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)^(٨)، ووصف الشريف البركاتي عقبة ساقين، أثناء مرافقته لحملة الشريف حسين، فقال: وهي عقبة

- (١) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضة في متجره بتنومة يوم السبت (١٤٢٧/٥/١١هـ). الساعة الخامسة مساء.
- (٢) كورنواليس: عسير. ص ١٠٠.
- (٣) نعص: قرية صغيرة يخترقها واد عرف باسمها، تقع جنوب شرق وادي بقره، ويجب المرور بها لمن أراد الاتجاه إلى محایل حيث تعتبر أول محطة بعد النزول من عقبة ساقين قديماً، أما في وقتنا الحاضر فيمر طريق السيارات من غربها، ثم إلى ثلوث المنظر ومنه إلى محایل مروراً بخميس مطير ثم الريش.
- (٤) رفيع: في ربوع عسير. ص ١١٤.
- (٥) سوق العجمة (والمعروف اليوم بربوع حميضة): يقع في قرية العجمة ببارق، وصفها كورنواليس بقوله "إن بها (٢٠٠) بيت من الحجر كانت مركز الحاكم التركي سابقاً، وهو السوق الأكثر أهمية للقبائل المجاورة كان موعد إقامته كل أربعة ويعد من الأسواق القديمة في تهامة" ويربط سوق العجمة بين القنفذة ومحایل كما أنه يربط بين تنومة والقنفذة، وتعرض فيه السلع المحلية من حبوب وسمن وعسل وأغنام. انظر البارقي: أحمد مريف: الآثار والتراث في محافظة بارق، الرياض (١٤٢٧هـ/٢٠١٥م). ص ٥٤-٥٥.
- (٦) للمزيد انظر، كورنواليس: عسير. (نسخة غير منشورة). والعضوات واد دائم الجريان يقع في منتصف عقبة ساقين وهو معروف للناس حيث يكثر التنزه فيه لجماله وتوفر مياهه وبخاصة بعد موسم الأمطار. حيث تستمر الشلالات تهتمر بماء عذب بعد الأمطار.
- (٧) البارقي: الآثار والتراث. ص ٥٥.
- (٨) البكري، علي بن شايخ: الموجز في تاريخ بلاد بني شهر. ص ١٤٥. وانظر مذكرات سليمان شفيق. ص ١٠٨.

عظيمة جداً، ولبثنا جميع يومنا في الصعود، ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له (صلبة)^(١)، وهي روضة من رياض العقبة في طرفها شلال ماء،... "ويواصل حديثه عن الصعود من الصباح حتى بعد الظهر بقوله: "واصلنا الصعود مجددين المسير حتى أدركتنا القيلولة فقلنا في روضة يقال لها (براد)^(٢)،... وبعد القيلولة نهضنا الى أن وصلنا سطح العقبة،... ونزلنا في واد يسمى تنومة"^(٣). وأشار سليمان شفيق لعقبة ساقين بقوله: "وعقبة تنومة الواقعة على مسافة أربعة أكياال من سوق السبت الى الجنوب الغربي، هي أسهل العقبات للقادمين من تهامة إلى جبال عسير، ومن الممكن صعود البغال والأثقال..."^(٤). هنا حدد سليمان باشا مسافة الطريق بين أعلى العقبة وسوق السبت وقدرها بحوالي أربعة كيلومترات، وهذا القياس صحيح^(٥). ويمكن الاستدلال مما قاله بأن هناك طريقاً مباشراً بين عقبة ساقين وسوق السبت. كما استخدم الشريف حسين عقبة ساقين مرة أخرى؛ لحرب السعوديين في أبنها بقيادة أميرها سعد بن عفيصان، الذي أرسل جيشه لمقابلة جيش الحجاز في مسفرة ببلحمر، ودارت معركة هناك قتل فيها سليمان بن عفيصان، وهزم جيشه وتقدمت قوات الشريف لمحاصرة أبنها عام (١٣٤٠هـ/١٩٢٠م)^(٦).

مما سبق ذكره يستدل على أهمية هذه العقبة؛ تجارياً وعسكرياً، وبلا شك فقد كانت رافداً هاماً لازدهار سوق السبت في فترات تاريخية سابقة. ومنذ بداية القرن الخامس عشر الهجري تم فتح طريق ترابي للسيارات، وبمجهودات فردية من بعض قبائل تنومة، ورغم صعوبته ووعورته وخطورته سهل التواصل بين تنومة وتهامة^(٧). ومن الواضح أن هذه العقبة فقدت أهميتها إلى حد كبير بعد افتتاح عقبة

(١) هذا الموضوع يقع في الثلث الأول من العقبة من جهة تهامة وهو مكان مستو بنيت فيه بعض الدور الصغيرة المسلحة، وقد استحسّن الشريف حسين المبيت به لانبساط أرضه وإمكانية تجمّع الجيش فيه، وتوفر المياه به.

(٢) براد: موضع في أعلى العقبة، سمي بذلك لبرودة هوائه، وبه أشجار ومياه.

(٣) البركاتي، شرف بن عبدالمحسن: الرحلة اليمانية. مطبعة السعادة، مصر، (١٩١٢م). ص ٤٥.

(٤) شفيق: مذكرات. ص ٢٢٢. يبدو أن قوات الشريف حسين قد وسعت في بعض أجزاء هذا الطريق حتى يتسنى جر المدافع ذات العجلتين بالدواب، ويبدو ذلك واضحاً في بعض أجزاء الطريق. مشاهدات الباحث يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢٢هـ) الساعة ٤ م.

(٥) قام الباحث بقياس هذه المسافة بسيارته يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢٢هـ). الساعة ٥م. فكانت (٤٢٠م).

(٦) شاكر، محمود: شبه جزيرة العرب، عسير. المكتب الاسلامي. ص ٢٦٦. للتصحيح ذكر أن مسفرة في بللسمر والصحيح أنها في بلحمر.

(٧) يبلغ طول هذا الطريق حوالي تسعة كيلومترات، ولا يصعد معه الا السيارات ذات الدفع الرباعي، وتتوقف الحركة فيه عند هطول الامطار، حيث تجرف السيول أجزاء منه، بالإضافة إلى انهيارات التربة والصخور، ومع ذلك كان الناس يتعاونون فيما بينهم سواء من تهامة أو من تنومة لإصلاح الطريق من جديد؛ ادراكاً منهم لأهميته وأنه لاغنى لهم عنه. وفي عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) تمت سفلة هذا الطريق بجهد قبلي، وتحسن وضع الطريق كثيراً.

برمة؛ لسهولة وقلة مخاطرها، وأصبحت الطريق الرئيسي بين تنومة وتهامة، ولم يعد يستخدم عقبة ساقين إلا قلة ممن لهم بعض المواشي في أصدارها، أو الراغبين في التنزه لجمال طبيعتها .

ب- عقبة برمه^(١) : هي عقبة تربط بين تنومة وتهامة بني شهر، وتقع في جهة الغرب من تنومة، وتبعد عن طريق ساقين حوالي ثلاثة كيلو مترات باتجاه الشمال. ولكنها أقل شهرة من عقبة ساقين قديما. وتعتبر طريقا محلية لا تستخدمها القوافل التجارية، إنما يسلكها السكان المحليون عندما يكونون في الأصدار، وعادة ما يذهبون إلى أسواق تهامة وبخاصة سوق ثلوث المنظر، ومحاليل، لشراء الحبوب أو سلع أخرى، ومن الطبيعي أن يحرص هؤلاء على حضور سوق سبت تنومة؛ للتسوق ومعرفة الأخبار، ويصعد مع هذه الطرق أيضا سكان الأجزاء الشمالية من وادي بقرة؛ لأنها أقرب لهم من عقبة ساقين^(٢). أما في وقتنا الحالي فقد أصبحت برمة هي العقبة الرئيسية بين تنومة وتهامة؛ لسهولة واتساع طريقها^(٣)، وتبعد عن سوق السبت حوالي (٨ كم)^(٤).

ج- الطرق الشرقية^(٥) : وأما من جهة الشرق- البادية- فالطرق متعددة وسهلة إلى حد ما، رغم أن الخوف من قطاع الطرق كان موجودا إلى أن استقرت أحوال البلاد

(١) برمة: مكان اصدار قديم لقبيلتي آل مروّح وال معافا، تمر بها الآن عقبة برمة، فيها مبان قديمة وعرشان للنحل، وقد جدد بعضهم هذه المباني القديمة، ومنهم من بنى بيوتا حديثة، تستخدم كمشتى، ومنهم من ربي قطعانا من الماعز، وقام البعض بتربية النحل. وساعدهم في ذلك اعتدال مناخها، وتنوع الغطاء النباتي وكثرة الأمطار وبخاصة في فصلي الشتاء والربيع. مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاما الماضية.

(٢) مقابلة مع فايز بن عوضه في متجره بتنومة يوم السبت (١٢/٥/١٤٣٧هـ). الساعة ٥م.

(٣) تم افتتاح عقبة برمة بطول حوالي أحد عشر كيلومتر عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، وكان طريقها ترابيا وعرا كثيرا ما يتعرض للانجراف بسبب الأمطار، وفي عام (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) تمت توسعة الطريق وسفلتته بجهود قبلية خاصة، ثم استلمته وزارة المواصلات التي تقوم بصيانه بشكل دوري، كما بنت في أجزاء منه بعض الجسور حماية له من مياه الأمطار. وتستطيع في وقتنا الحالي جميع السيارات استخدامه. وقد ساهمت هذه العقبة في العقدین الأخيرین من هذا القرن الهجري في النشاط التجاري بين تنومة وتهامة، فتجلب من تهامة الأغنام وبعض الأعلاف، كما تستخدمه شاحنات توزيع البضائع متوسطة الحجم التابعة لبعض الشركات في نقل البضائع إلى تنومة من بعض المدن الساحلية ومن أهمها جدة، وتنقل عن طريقه أيضا كثيرا من منتجات تنومة الزراعية وبخاصة الخضروات، التي تغزو أسواق تهامة وسوق محاليل بالذات، كما يأتي بعض سكان تهامة إلى تنومة للتسوق. وقد أنعش هذا الطريق السياحة بين السراة وتهامة، فسكان تنومة وما جاورها ينزلون إلى تهامة في فصل الشتاء، لان الجو بارد في السراة، ومعتدل في تهامة، وفي فصل الصيف ينعكس الوضع

(٤) قام الباحث بقياس المسافة بسيارته يوم الجمعة (١٥/٧/١٤٣٧هـ).

(٥) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضه، في متجره بتنومة. يوم الاحد (١٢/٥/١٤٣٧هـ). الساعة ٥م. حيث كان أحد التجار الذين سلكوا هذه الطرق إلى بيشة مع القوافل التجارية.

تحت الحكم السعودي. ومن هذه الطرق: الطريق من بيشة عبر بادية بني شهر إلى فرع وادي ترج الواقع شرق تنومة ثم إلى موضع بتنومة يسمى (رهو المدار) ^(١) بمحاذاة جبل منعا من الجنوب. وهناك طريق يمتد من بيشة باتجاه الجنوب الشرقي عبر بادية بني شهر ثم إلى قرية الحصون، ومنها إلى سهل تنومة عبر قرية آل زخران، حتى يصل إلى السوق من جنوبه. ويبدو أنهما امتداد طبيعي لطريق التجارة من بيشة إلى ميناء القنفذة مارا بعدة محطات، ومنها سوق سبت تنومة.

د. الطرق السروية: هناك طرق معروفة تربط تنومة ببلاد السراة شمالاً وجنوباً عبر جبال السروات وهي: (١) **الطريق الجنوبي:** الذي يمتد من اليمن إلى الطائف، الذي كان يسلكه حجاج اليمن في الماضي، مارين بالقرى والحواضر السراوية، ومنها تنومة إحدى محطاتهم الهامة، فيتجمعون فيها بالقرب من سوق السبت عند جبل يسمى (عبدا) ^(٢)، ويحرصون على التسوق فيه لبيع ما يأتون به من بن وزبيب ^(٣). ومن الواضح أن هذا الطريق يمر بوسط سوق سبت تنومة مباشرة للقادمين من الجنوب إلى الشمال أو العكس، فهذا محمد عمر رفيع يذكر في رحلته من أبها إلى النماص أنهم مروا بقرية آل زخران ^(٤)، ومنها إلى ساحة السوق في قرية ابن العريف، ومروا به يوم سبت في الذهاب والاياب ^(٥)، وهذه دلالة واضحة على أن سوق السبت يقع على هذا الطريق مباشرة، ومن الأدلة على ذلك أيضاً مرور الرحالة الأجانب مثل كورنواليس، وويلفرد تيسجر بالسوق، فلولم يكن هذا الطريق يشق السوق ربما لم يكتبوا عنه شيئاً، وكذلك عندما أراد متصرف عسير سليمان شفيق الذهاب إلى النماص، مر بسوق السبت مباشرة، ثم واصل مسيره. ولوقوع السوق على هذا الطريق عدة

(١) رهو المدار: مكان مستوي يقع في الجنوب الشرقي من سوق السبت، ويبعد عنه قرابة (٢كم)، ومن المرجح أنه كان في هذا المكان سوقاً قديماً يسمى أم ظرفين، حسب الروايات الشفهية والشعبية المتواترة، ولا يستبعد الباحث ذلك، لأن هذا الموقع محطة للقوافل القادمة من بيشة والمتجهة إلى أسواق تهامة حتى تصل إلى القنفذة. ومما يؤهله أن يكون سوقاً استواء أرضه وموقعه. مشاهدات الباحث خلال الثلاثة عقود الماضية.

(٢) عبدا: جبل متوسط الارتفاع يقع وسط تنومة، وسمى بذلك لأنه مستقبل القبلة، ويبعد عن سوق سبت تنومة حوالي كيلومتر. معرفة الباحث بالمواقع كونه أحد أبناء تنومة.

(٣) سمعت ذلك من مسن يماني يبدو في الثمانين من عمره، وأنا صبي صغير في رمضان عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، حيث صلى بنا التراويح ثم حكى لنا عن ذكرياته مع الحج، واختص تنومة بجزء كبير من حديثه، وكان ينظر إلى جبل عبدا بكثير من التأمل ويقول كنا نتجمع عنده ونسميه (الجبل العابد)، ونمكث قربه عدة أيام حتى يكتمل الحجاج ثم نتطلق إلى مكة في مسيرة واحدة. هذا لو تفرد دراسة علمية أكاديمية للطريق السروي الذي يخرج من أبها إلى الطائف، وهذا الموضوع جدير بالدراسة (ابن جريس).

(٤) قرية آل زخران تبعد عن السوق بحوالي (١٥٠٠م) من جهة الجنوب، وما زالت آثار الطريق الذي يمر بها موجودة إلى اليوم. مشاهدات الباحث يوم السبت (١٧/٦/١٤٢٧هـ). الساعة ٤ عصرا.

(٥) رفيع: في ربوع عسير. ص ١٠٨-١١٤.

دلالات منها: إن اختيار موقع السوق على هذا الطريق مباشرة لم يكن عشوائياً بل كان مدروساً. وأنه بموقعه هذا يتحتم على المسافرين المرور به إجبارياً شمالاً أو جنوباً، وبالتالي تكون فرصة لهم للتسوق فيه، ويحرصون عند أسفارهم في كل مرة على أن يتزودوا ببعض البضائع لبيعها في سوق السبت، وشراء ما يحتاجون إليه في سفرهم، وبذلك تنشط الحركة التجارية في السوق، ووقوعه على هذا الطريق سهل على التجار والقوافل التواصل فيما بينهم، بحيث أنهم اتخذوا من سوق السبت محطة لهم يلتقون فيها بتجارهم، وذلك مما رفع من مكانة السوق الاقتصادية، وعاد على التجار المحليين بالفائدة، كما ساهم وقوعه على هذا الطريق في اشتهاره بين الأسواق، وازدهاره اقتصادياً وبخاصة في (القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي) .

وتتضح محطات الطريق من تنومة الى أبها عندما سلكه الشريف حسين؛ لذك الحصار عن متصرف لواء عسير في أبها، فبعد صعوده من تهامة عن طريق عقبة ساقين، وتجمع قواته في سهل تنومة، انطلق عبر عقبة دهناء جنوب تنومة، ثم إلى سدوان ومنها إلى بلسمر ثم بلحمر، حتى وصل شعار، ومنها إلى أبها^(١). وهو الطريق ذاته الذي تسلكه القوافل بين تنومة وأبها، وسوق خميس ابن مشيط.

(٢) **الطريق الشمالي**: يمتد من تنومة إلى قرى الظهارة، ثم إلى النماص ومن بعدها إلى بلاد بني عمرو، ثم بلاد بلقرن وشمران حتى الباحة وما يليها إلى الطائف^(٢).

ويصف محمد رفيع الطريق بين تنومة والنماص بالصعبة، لكثرة الصخور وكثافة الأشجار ووعورة الطريق، وكثرة العقبات فيه، مما كان يضطرهم للمشى وترك الدواب؛ خوفاً من السقوط عن ظهورها^(٣). وعلى ذلك يمكن قياس باقي طرق السراة شمالاً وجنوباً من حيث المشقة والوعورة. ووصف الألمي الطريق من أبها إلى النماص في ثمانينيات القرن الهجري الماضي؛ بالخطرة والوعرة لوقوعها في منطقة جبلية^(٤). وتحديث عن فتح هذا الطريق بواسطة شركة محمد بن لادن على حساب الملك فيصل بمبلغ مليون ريال، وأضاف أن هذا الطريق اقتضى اثر طريق بدائي فتحه الأهالي بعيداً عن القرى^(٥). ويبعد السوق في وقتنا الحالي عن الطريق الرئيسي (أبها - الطائف) حوالي كيلومتر واحد، ويقع إلى الغرب منه.

(١) شفيق: مذكرات. ص ١٠٨.

(٢) قام الطريق المعبد الحالي على معظم انقاض الطرق القديمة من الطائف إلى أبها مروراً بتنومة المعروف بطريق أبها الطائف الذي شرع في تعبيده منذ عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) .

(٣) رفيع: في ربوع عسير. ص ١٠٩.

(٤) الألمي، يحيى ابراهيم: رحلات في عسير. مطابع دار الاصفهاني، جدة [د.ت.]. ص ٨٦.

(٥) الألمي: رحلات. ص ٨٩.

هـ. الطرق الداخلية بين قرى تنومة؛ أما أهل القرى التنومية فالوضع بالنسبة لهم سهل جدا في الوصول إلى السوق؛ لقرب المسافة وأمان الطرق. فهناك مسالك عدة، فلكل قرية أو أكثر حسب التجاور والاتجاه طرقا تربطها بالسوق على حسب موقعها منه. فنجد أن قرى جنوب تنومة مثل قرى آل دحمان، وآل الصعدي، وقرى جبال قريش يسلكون الطريق الرئيسي الذي يخترق تنومة من الجنوب إلى الشمال، ويأتون إلى السوق من مدخله الجنوبي، وهذا ما يفعله أيضا أهالي قرى شمال تنومة مثل قرى مليح وقنطان وبني لام، فيسلكون الطريق الرئيسي من الشمال إلى الجنوب، ويأتون السوق من مدخله الشمالي، ومنذ أواخر القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الهجريين، بدأ تعبيد الطرق وربط قرى تنومة بعضها ببعض، ومن الملاحظ في وقتنا الحالي؛ أن سوق السبت يرتبط مع معظم هذه القرى بعدة طرق من جميع الجهات، فهناك طريق يربط السوق بالشارع العام من جهة الشرق، وطوله حوالي الكيلومتر، ومن جهة الغرب طريق رئيسي تتفرع إليه بعض الطرق الأخرى التي تربطه بكثير من القرى في غرب تنومة، ومن جهة الجنوب هناك طريق يربطه بعدة قرى مثل قرية آل السميح وقرية آل مرحب، ويتفرع منه طريق يتجه شرقا ليربطه بالشارع العام^(١)، ومن الشمال طريق يربط السوق بالطريق العام. أبها الطائف. والذي يخترق ساحة السوق لربط شماله بجنوبه^(٢).

رابعا: تطور السوق؛

١. السوق كما رآه ويلفرد ثيسجر^(٣)؛

تعتبر رحلة هذا الرحالة الأوربي أهم مصدر موثق بالصورة الفوتوغرافية؛ لسوق السبت عام (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، والذي قام برحلة عبر بلاد السراة وتهامة، بعد حصوله على تصريح من الملك عبدالعزيز عام (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) للتنقل في

(١) هذا الطريق جزء من الطريق الرئيسي القديم، الذي كانت القوافل والناس يسلكونه قادمين من بلاد قحطان وعسير وبلحمر وبللسمر وسكان جنوب تنومة، إلى السوق من مدخله الجنوبي.

(٢) زيارة ميدانية للباحث يوم الأربعاء (١٤٢٧/٦/٧هـ). الساعة ٤،٣٠ مساءً. بالإضافة إلى مشاهدات الباحث وملاحظاته خلال الثلاثين سنة الأخيرة.

(٣) ويلفرد ثيسجر هو: رحالة بريطاني. ولد في أديس أبابا عام (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) وتوفي عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م)، قام برحلات عبر الصحاري العربية في السودان والشام والعراق، وعبر الربع الخالي مرتين ما بين (١٣٦٥، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م). كان دبلوماسيا في سفارة بلاده في إثيوبيا، استقال وذهب مع بعثته علمية مهمة بالجراد الصحراوي في جزيرة العرب. انظر ويلفرد: رحلة فوق الرمال العربية. [ترجمة]: محمد عبدالقادر. الدار القومية للنشر، القاهرة [د.ت.]. ص ٥، ٧، ٨.

أرجائها^(١)، فوصف بعض هذه المناطق وسكانها وأسواقها، ووثق زيارته بالصور التي لا تقدر قيمتها الوثائقية والتاريخية بثمن، ومن هذه الأماكن التي زارها سوق سبت تنومة (يوم السبت ١٩٤٦/٦/٨ م الموافق ١٣٦٥/٧/٩ هـ)^(٢)، ولم يكتب عنه كتابة منشورة، ولا يستبعد كشأن الرحالة؛ أنه كتب عنه على الأقل في مذكراته أو مسودات لم تنشر بعد. ومن خلال هذه الصور يستطيع الباحث قراءة أحوال الناس الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والحضارية، كما أعطي تصورا لوضع السوق ومعامله، ومن الملاحظ أنه لم يذكر تنومة أو سوقها عند تصنيفه للصور، فصنفها تحت اسم (قرب منعا) وللبحث في الموقع الإلكتروني لمتحف إكسفورد على الإنترنت؛ للحصول على الصور لا بد من كتابة (ner mana) في محرك بحث الموقع، لأن المتحف اعتمد على تسمية وتصنيف ويلفرد للصور. وهناك احتمالان لتصنيفه هذه الصور تحت هذا المسمى. الاحتمال الأول أنه لا يعرف اسم المكان وهذا احتمال ضعيف، والاحتمال الآخر بأنه رمز لها بأكبر معلم جغرافي في تنومة لفت انتباهه وهو جبل منعا^(٣)، ومما يدل على إعجابه بهذا الجبل العملاق أنه وصفه ووصف صخوره وأنواعها^(٤)، وربما أنه يعرف اسم المكان عن طريق سؤال الناس، أو من بعض مرافقيه ولاسيما أنه يتكلم اللغة العربية. وقدم لنا ويلفرد (٢٤) صورة عن تنومة بشكل عام، خصص نصفها لسوق السبت^(٥)، فيها كثير من التفاصيل الهامة عن حياة الناس والعمران ووسائل النقل وطرق عرض البضائع في تلك الفترة^(٦).

٢. أقسام السوق:

بالنظر إلى صور ويلفرد نجد فيها تفاصيل هامة لملامح السوق، من حيث طبيعته الجغرافية، والعمرانية، وطريقة التسوق ويمكن أن نبني عليها مراحل تطور السوق منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ويمكن تقسيم السوق إلى الأقسام التالية:

- (١) ثيسجر، ويلفرد: رحلة في تهامة وعسير. [ترجمة]: أحمد الزيلعي. **مجلة الدارة**، العدد ١، ١٤٠٨هـ. ص ٩٣. للمزيد انظر ابن جريس، القول المكتوب، ج ٢، ص ٣٦٢.
- (٢) زيارة لموقع متحف إكسفورد على الشبكة. يوم السبت (١١/٥/١٤٣٧هـ). الساعة ٢ ظهرا. على الرابط <http://www.prmprints.com/image/801987/portrait-of-a-crowd-of>
- (٣) يقع جبل منعا شرق سوق السبت، ويبعد عنه قرابة (٢ كم)، وهو من المعالم التضاريسية البارزة في تنومة، حيث يتميز بارتفاعه وكبر حجمه، ويوجد على قمة هذا الجبل مجموعة من القرى يوجد بها بعض السكان، وبها أراض زراعية وآبار، يربطها بتنومة طريق معبد، افتتح في العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م). بها مدرسة للبنين وأخرى للبنات. مشاهدات الباحث على مدي الثلاثة عقود الماضية.
- (٤) ابن جريس: القول المكتوب، ج ٢، ص ٢٧١.
- (٥) نفس الزيارة السابقة لموقع متحف إكسفورد الإلكتروني.
- (٦) حبذا لو توسع الباحث في دراسة تاريخ وحضارة تنومة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) وإن شملت القرنين (١٣هـ/١٩، ٢٠م) فذلك أفضل (ابن جريس).

أساحة السوق والمباني المحيطة بها؛ من خلال صور ويلفرد للسوق؛ يتبين أن السوق كان ساحة واسعة جرداء، خالية من الحوانيت، ويشرف على تلك الساحة قصر الشيخ ابن العريف، المسمى (يزيد)^(١). بالإضافة لبعض البيوت القريبة من الساحة ومنها منازل آل عريف. والمتأمل في هذه الصور يلاحظ كثيرا من المباني الحجرية المهدامة، التي لا يعرف تاريخها أو سبب هدمها، ويبدو أنها قديمة جدا^(٢)، وهي أحد الشواهد على قدم المكان. ويتضح أن أصحاب البضائع يحطون رحالهم في ساحة السوق، فيعرضون جزءا منها على الدواب، والجزء الآخر على الأرض أمام الناس. ويكتظ السوق بالناس من باعة ومتسوقين في هذه الساحة من ساعات الصباح الأولى وحتى آخر النهار. ويذكر محمد رفيع بأنهم عندما وصلوا إلى سوق السبت قبلوا إلى الساعة الثالثة عصرا ثم شهدوا السوق^(٣)، وهذا دليل على أن السوق كان حاميا وقت العصر، وقد يمتد إلى ما بعد غروب الشمس، ثم ينفذ الناس إلى رحالهم في انتظار يوم السبت جديد^(٤). ومن أبرز معالم هذه الساحة شجرتان كبيرتان من أشجار الرقاع المعمر، تقع الأولى في جنوب السوق، ويعرف مكانها بالرابة، وتستخدم منبرا لتلاوة البيانات والمراسيم الحكومية، وإعلان الأعياد ودخول رمضان، وبعض الشؤون القبلية، كما يقف عليها الدعاة للوعظ والإرشاد، ويستظل الناس تحتها لتبادل الأخبار وتجاذب أطراف الحديث والمضاربات التجارية^(٥)، وأزيلت تلك الشجرة لتوسعة ساحة السوق في بداية القرن (١٥هـ/٢٠م)، أما الشجرة الأخرى الواقعة شماله فما زالت إلى اليوم، حيث كان أصحاب المهن من حدادين ونجارين يعرضون منتجاتهم تحتها^(٦). ومن الملاحظ أن هاتين الشجرتين لاتظهرا في صور ويلفرد، مما يدل على أنهما غرستا فيما بعد عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م). ومع السنين تطورت ساحة السوق؛ وأصبحت تحيط بها الدكاكين من جميع الجهات ماعدا الطرقات، والممرات المؤدية لهذه الساحة، ولم يحدث تغيير لأرضيتها من رصف أو ما شابه، وإنما بقيت ترابية على حالها القديم

- (١) يتكون قصر يزيد من أربعة طوابق على مساحة بناء تقدر بحوالي (٢٤٥٠) م. وما زال أحد أبناء أسرة آل شبيلي وهو محمد بن شبيلي يسكن هو وأسرته في هذا القصر العتيق، بعد أن رممه ترميما جيدا. زيارة ميدانية للقصر يوم الأربعاء ١٤٢٧/٦هـ. الساعة ٤م.
- (٢) من خلال صور ويلفرد تتضح آثار قرية قديمة كانت في محيط السوق، قامت على أنقاضها قرية السوق الحالية، وما زال بعض هذه الآثار موجودا إلى الوقت الحاضر في غرب السوق على بعض التلال.
- (٣) رفيع: في ربوع عسير. ص ١٠٨.
- (٤) يا حيدا يارشاد أن تفرد دراسة مستقلة للجانبين الاجتماعي والإقتصادي في محافظة تنومة خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) وإن فعلت فسوف تقدم للباحثين عملا علميا جيدا (ابن جريس).
- (٥) مقابلة مع فايز بن عوضة في متجره بتنومة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ)، الساعة ٥م.
- (٦) زيارة ميدانية للسوق يوم الأربعاء (١٥/٥/١٤٢٧هـ) الساعة الخامسة مساء. برفقه شبيلي بن سعد أحد أبناء أسرة آل شبيلي، الذي قضى معظم طفولته في رحاب سوق السبت.

حتى بداية القرن الخامس عشر الهجري؛ عندما بدأت مشروعات البلدية بتوسعتها وسفلتها على فترات متعاقبة خلال العقود الأربعة الماضية، ونتيجة لهذه التوسعة أزيل كثير من الدكاكين القديمة، ومعها الجامع القديم، إضافة إلى بعض المنازل الواقعة شمال السوق^(١). كما قامت بلدية تنومة بإنشاء دكاكين على فترات متفرقة خلال العقد الثاني من هذا القرن الهجري، فبنت المنشية الأولى عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، وأضافت المنشية الثانية عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)^(٢).

أما المباني السكنية فأقدمها تاريخياً بيوت آل عريف، التي تكونت منها فيما بعد قرية ابن العريف، أو قرية السبت، ومع الأيام ازدادت المنازل حول السوق منذ سبعينيات القرن الهجري الماضي، وهي فترة ازدهار السوق اقتصادياً بعد بناء الدكاكين، ويرجع ازدهار العمران حول السوق إلى انخراط بعض السكان للعمل بالتجارة، مفضلين بناء منازلهم بالقرب من السوق ليكونوا على مقربة من تجارتهم، وما زالت معظم هذه المنازل موجودة إلى يومنا هذا، وبحالة جيدة وتسكنها بعض الأسر^(٣). وهي مبنية من الحجارة المحلية، ومسقوفة بأخشاب العرعر، ومصقولة من الخارج بالجص، ثم صقل بعضها بالإسمنت بعد ذلك عندما توفر في تسعينيات القرن (١٤هـ)، ويتكون بعض هذه المنازل من ثلاثة طوابق يطلق عليها محلياً (السّيح، ومفردها ساحة)، وبعضها الآخر يتألف من غرف مرصوفة بجوار بعضها، ولكل واحدة منها باب يفتح في فناء خارجي ليس له سقف، ويستتره جدار يرتفع قرابة المترين، وله باب رئيسي يفتح إلى الخارج، ويتراوح عدد الغرف ما بين اثنتين والثلاث، ومن هذه الدور أيضاً ما يتكون من دور واحد به مجموعة من الغرف مغلقة بعضها على بعض، ويغطيها سقف واحد، إلا أن أغلب هذه البيوت لم تصقل من الخارج بالجص أو الإسمنت، وبقيت ملامح البناء الحجري ظاهرة عليها إلى يومنا هذا^(٤). والمشاهد لهذه المنازل يمكنه التمييز بين المستوى المعيشي والاقتصادي للسكان. فأصحاب الدور الكبيرة المكونة من طوابق

(١) قامت البلدية بنزع ملكيات هذه الدكاكين والمنازل وتعويض أصحابها . زيارة لبلدية تنومة يوم الثلاثاء (١٣/٦/١٤٣٧هـ) . الساعة ٩ صباحاً . ومقابلة مساعد رئيس البلدية للشؤون الفنية علي يحيى الشهري الذي افاد الباحث بهذه المعلومات.

(٢) زيارة لبلدية تنومة يوم الثلاثاء (١٣/٦/١٤٣٧هـ) . الساعة ٩ صباحاً . ومقابلة مساعد رئيس البلدية للشؤون الفنية علي يحيى الشهري . أشكرك يا أ. رشاد على هذا الطرح العلمي، وأرجو أن تواصل في إصدار دراسات تاريخية وحضارية عن محافظة تنومة أو أي جزء من بلاد بني شهر، لأنك تمتلك قدرات بحثية جيدة (ابن جريس).

(٣) زيارة ميدانية للمباني المحيطة بالسوق يوم الخميس (١٦/٥/١٤٣٧هـ)، الساعة ٥م. يا حبذا لو تفرّد دراسة مستقلة عن العمارة في تنومة، وهذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة (ابن جريس)

(٤) زيارة ميدانية للمباني المحيطة يوم الخميس (١٦/٥/١٤٣٧هـ)، الساعة ٥م.

متعددة والمصقولة بالجص أو الإسمنت أفضل مادياً واجتماعياً من أصحاب المنازل ذات الطابق الواحد. وأما المنازل المسلحة فأقدمها الملاحق التي بناها الشيخ محمد ابن شبيلي في تسعينيات القرن الهجري الماضي^(١). وتزايدت المباني المسلحة منذ بداية القرن الخامس عشر الهجري؛ نتيجة لتوفر مواد البناء الحديثة والأيدي العاملة، وقام بعض أصحاب المنازل والدكاكين الحجرية القديمة بهدمها وإعادة بنائها على الطراز الحديث، ومن اللافت أن السوق اليوم يعطى الزائر له تمازجا معماريا رائعاً بين ماضٍ جميل وحاضر زاهر. ومن معالم السوق البارزة في وقتنا الحاضر؛ وجود متحف يضم كثيراً من تراث المنطقة. حيث تبرع أحد أبناء تنومة الكرام وهو علي بن سليمان^(٢) بمنزل أسرته القديم والواقع في قلب السوق^(٣)؛ ثم ساهم في ترميمه وإعادة تأهيله وذلك تحت إشراف أحد المهتمين بالتراث وهو سليمان بن أحمد الشهري^(٤). وقد أسهم وجود هذا المتحف في إضافة ثقافية وحضارية لسوق السبت، وكثير من زوار تنومة يقومون بزيارة هذا المتحف، والتعرف على هذا السوق العريق^(٥).

ب- مداخل السوق؛ للسوق مدخلان رئيسيان من جهة الجنوب ومن جهة الشمال، ويبدو أنهما كانا قبل (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) بنفس عرض مساحة ساحة السوق؛ لعدم وجود مبانٍ تضيق من مساحة هذه المداخل^(٦)، ومع بناء الدكاكين في منتصف سبعينيات القرن الهجري الماضي، وازدياد المنازل المجاورة للسوق ضاقت هذه المداخل حتى أصبحت بعرض ستة أمتار تقريباً^(٧). وكان يدخل معها المتسوقون، والتجار بجمالهم وحميرهم إلى ساحة السوق، والمسافرون من الجنوب إلى الشمال عبر طريق السراة إلى الطائف يمرون بالسوق من مدخله. كما يوجد ممرات ضيقة بين كل مجموعة من

- (١) زيارة ميدانية للمباني المحيطة بالسوق يوم الخميس (١٦/٥/١٤٢٧هـ)، الساعة ٥م.
- (٢) علي بن سليمان بن مداوي الشهري من أبناء تنومة وأحد كبار رجال الأعمال في المملكة له مساهمات عديدة في خدمة تنومة ومنها تأسيس هذا المتحف.
- (٣) يتألف هذا المبنى من ثلاثة طوابق، استخدم في بنائه مواد البناء المحلية، ما زال هذا المبنى متماسكاً وبحالة ممتازة. زيارة ميدانية للموقع يوم الخميس (١٦/٦/١٤٢٧هـ).
- (٤) سليمان بن أحمد الشهري معلم متقاعد، من المهتمين بالتراث والمتاحف.
- (٥) من أهم المسؤولين الذين زاروا سوق السبت والمتحف الأمير سلطان بن سلمان رئيس هيئة السياحة والآثار عام (١٤٢٥هـ/٢٠١٤م)، كما يتوافد على تنومة في فصل الصيف الآلاف من السياح للاصطياف من المملكة ودول الخليج.
- (٦) يتضح ذلك من الصور التي التقطتها تيسجر عام (١٣٦٥/١٩٤٦م)، فمن خلالها لا تتضح معالم مداخل السوق، وتبدو وكأنها جزء من ساحته.
- (٧) يتضح من خلال صورة التقطها سعيد بن علي الشهري عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، وموجودة في أرشيف عبدالله علي الطنيني، أن مداخل السوق لا تتجاوز الستة أمتار تقريباً كما يظهر فيها تراحم المباني حول ساحة السوق ومدخله.

الحوانيت؛ لتسهيل حركة المتسوقين وفك الاختناق من ساحة السوق. وفي ثمانينيات القرن الهجري الماضي، كانت بعض السيارات من فئة (لوري فورد) لا تجد صعوبة في الدخول إلى السوق عبر مداخله الرئيسية^(١)، ومنذ منتصف العقد الأول من القرن (١٥هـ/٢٠م) قامت البلدية بتوسعة هذين المدخلين على مراحل، حتى وصل عرض كل منهما في يومنا هذا حوالى الخمسة عشر مترا^(٢).

ج- الجامع القديم: كان هذا الجامع يقع في شمال السوق وهو جامع أثري قديم، ولا يوجد مصدر يوثق تاريخ بنائه^(٣). ووصف أبوداهش هذا الجامع بقوله: "عرف مسجد السبب بقدم عمارته، وروعة تشييده، ولكنه مما يؤسف له هدم، وكنا في مطلع حياتنا العلمية نحو (١٣٨٤هـ) نشهد حركة المصلين بسوحيه في يوم السبت..."^(٤).

أما تفاصيل بناء هذا الجامع فهو مبني من الحجر المحلي المغطى بالجص، ومساحته حوالي (٢٦٠م^٢)، وله حرم بنفس مساحة المسجد، ويوجد به بركة ماء تجلب لها المياه من إحدى الآبار القريبة، وأماكن الوضوء على شكل أحواض صغيرة مهيأة بحيث تسمح للماء بالمرور فيها عبر أفتية صغيرة، فيحضر الرجل الماء منها وهو في وضع القرفصاء، ويقوم بالوضوء، ويخرج الماء المستخدم عبر قناة صغيرة إلى الخارج، ولن نجد وصفاً أدق من وصف أبوداهش لهذا المشهد بقوله: "...وهم يفيضون من الماء في جداوله للوضوء ونحوه، ولهم عندئذ دأب وحركة..."^(٥)، وللمسجد ثمانية أعمدة من خشب العرعر المتين، كما سقّف بأخشاب العرعر الرفيعة، المعروفة محليا (بالعمير)، التي تجلب من البيئة المحلية لتوفر هذا النوع من الأشجار فيها بكثرة. وللمسجد

(١) أول من أدخل هذا النوع من السيارات إلى سوق السبت أحد أبناء تنومة وهو فايز ابوشمله الشهري في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) ثم محمد بن سعيد بن غارم العمري، وكذلك بعض أبناء المناطق الأخرى فكانوا يسلكون طرقاً ترابية صعبة جداً، يمهدها أحياناً من يركب في هذه السيارات للسفر بين مدن وقرى عسير أو خارجها، بالإضافة لنقل الركاب كانت تستخدم في نقل السلع، وبخاصة التمور من بيشة. ويلاحظ وجود سيارتين من هذا النوع في الصورة المشار إليها سابقاً والتي التقطت عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م). مصدر هذه المعلومات: مقابلة شخصية مع سعيد بن محمد بن ركيان الشهري في منزله يوم الجمعة (١٧/٦/١٤٢٧هـ) الساعة الرابعة مساءً. وهو أحد السائقين القدماء وعاصر فترة دخول السيارات إلى سبت تنومة.

(٢) زيارة ميدانية للسوق يوم (٢٠/٥/١٤٢٧هـ)، الساعة الخامسة مساءً.

(٣) من المؤسف عدم وجود وثائق تاريخية تدل على تاريخ هذا الجامع، مثله مثل غيره من المواقع في تنومة وغيرها من المناطق المجاورة لها في بلاد السراة، التي قُبعت لقرون تحت النهميش التاريخي، ويرجع ذلك إلى عزلة أهل البلاد وعدم ذكر أحداث تاريخية ذات بال يمكن أن يتناولها المؤرخون، وكذلك لانتساع دائرة الجهل والأمية بين الناس، فلم يوجد بينهم من لديه القدرة على كتابة أي تاريخ لتنومة أو غيرها من بلاد الحجر خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطية وبداية العهد الحديث.

(٤) أبوداهش: أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة. ص ١٢٢.

(٥) أبوداهش: أهل السراة في القرون الإسلامية الوسيطة. ص ١٢٢.

مدخلان إلى حرمة مدخل من جهة الشرق، وآخر من جهة الغرب. مع وجود باب واحد للمسجد في وسطه من جهة الجنوب، وقبلته شمالية. تؤدي فيه صلاة الجمعة وباقي الفروض^(١). ومن الملاحظ في صور ويلفرد ثيسجر أنه لا يوجد للجامع منارة أو قبة، كما تظهر فيها بعض واجهات حرم المسجد عارية من الجص^(٢)، وازيل هذا الجامع بدعوى التوسعة قبل حوالي (٣٥عاما) تقريبا. ويعتقد الباحث أن هذا التصرف يعد من الجهل بالقيمة التاريخية لمثل هذا الجامع وللمكان بأكمله، فلو كان هناك شيء من الوعي وحسن التخطيط، والإيمان بالقيمة الحضارية والتاريخية للمكان لما تم ذلك، وكان بالإمكان إيجاد حلول بديلة تضمن تحديث السوق، دون المساس بمعامله التاريخية. وفي العقد الأول من القرن الهجري الحالي بني في جنوب السوق جامع حديث يعد من أكبر المساجد بتنومة حاليا إن لم يكن أكبرها، ويزدحم يوم الجمعة بالمصلين من مواطنين ومقيمين، وبعد انقضاء الصلاة يتجهون إلى سوق السبت، وتبلغ ذروة ازدحام السوق من الساعة الواحدة إلى الثانية ظهرا لتوافد الناس من أنحاء تنومة؛ للتسوق بعد أدائهم لصلاة الجمعة في قراهم^(٣).

د. الحوائيت (الدكاكين)؛ من الملاحظ في الصور التي التقطها ويلفرد ثيسجر؛ أنه لا يوجد دكاكين في تلك الفترة، ويظهر السوق ساحة واحدة مكتظة بالمتسوقين، يطل عليها بعض البيوت القريبة منها. وهذا دليل على أن السوق إلى عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م) لم يكن به دكاكين أبدا، ومما يؤكد ذلك شهادات من عاصروا السوق في تلك الفترة وما بعدها^(٤)، ويعرض الباعة بضائعهم على الأرض وفوق دوابهم. ولم تشيد الدكاكين إلا بعد ذلك، ومن المرجح أنها بنيت في منتصف السبعينيات الهجرية من القرن الماضي^(٥). حيث اتفقت قبائل الشعفين على تقسيم السوق بين قبائلها الثمان^(٦)، فيكون لكل قبيلة جزء من السوق يبنى فيه خمسة دكاكين، فيصبح في السوق أربعين دكانا. ويعد ذلك نقلة نوعية في تطور السوق فبدلاً من بقائه ساحة تعج بالحياة يوماً واحداً في الأسبوع، أصبح مع وجود الدكاكين مراداً للمتسوقين في أي وقت؛ لأن بعضها يبقى مفتوحاً خلال

(١) مقابلة مع فايز بن عوضة في متجره بتنومة يوم الأحد ١٢/٥/١٤٣٧، الساعة ٥م، ومع محمد بن شباب في نفس المكان والزمان.

(٢) تظهر بعض ملامح هذا الجامع في أكثر من صورة لويلفرد ثيسجر.

(٣) زيارة ميدانية للجامع والسوق يوم الجمعة (٢٣/٦/١٤٣٧هـ). من الساعة ١٢ إلى ٢ ظهرا.

(٤) منهم فايز بن عوضة، وسعيد بن ركبان، ومحمد بن شباب، وأبراهيم بن عائض وقد أجرى الباحث معهم عدة مقابلات شخصية وتمت الإشارة إليها في مواضع عدة من هوامش هذا البحث.

(٥) مقابلة مع فايز بن عوضة في متجره بتنومة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٣٧)، الساعة ٥م، ومع محمد بن شباب في نفس المكان والزمان.

(٦) قبائل الشعفين هي: (ال بن يعلى، ال صفوان، ال مجادب، ال محدل، ال معافا، ال مروح، ال زخران، وال حسين). معرفة الباحث بهذه القبائل كونه أحد أبناء إحداها وهي قبيلة ال مروّح.

أيام الاسبوع، ورغم ذلك فكان يوم السبت أهم أيام السوق. وتصطف الحوانيت حول الساحة الرئيسية للسوق، من جهتي الشرق والغرب؛ لأن امتداد الساحة طويلاً أكثر منه عرضياً، ويوجد مجموعة منها في الجنوب والشمال. واستخدم في بنائها الحجر، وسقفت بأخشاب العرعر، ورصفت الأسقف بالتراب، ووضعت المزاريب لتصريف مياه الأمطار عن أسطحها^(١). أما مساحة كل دكان فلا تتجاوز (٢٠م)، وارتفاعها حوالي المترين ونصف المتر، ولها أبواب صغيرة مصنوعة من الخشب، ومع توفر مواد البناء الحديثة جددت معظم هذه الدكاكين في تسعينيات القرن الهجري الماضي، بعد توفر الإسمنت والأخشاب المستوردة، فنقضت الأسقف القديمة، واستبدلت بالأخشاب ذات الأشكال المستوية، فتصف بجوار بعضها، ويوضع فوقها أخشاب مسطحة تعرف محلياً (بأبلاكاش)، ثم يصب فوقها الإسمنت، وتستخدم الإسمنت أيضاً في صقل الجدران من الخارج، وطلبت بطلاء أبيض يستخرج من مواد جيرية، وبعد توفر الدهانات الحديثة دهنت باللون الأبيض منها، كما استبدلت الأبواب الخشبية بأبواب حديدية، وما زال بعض هذه الدكاكين موجوداً في السوق إلى يومنا هذا^(٢). وقد هدمت معظم هذه الدكاكين تدريجياً لتوسعة ساحة السوق منذ بداية القرن الهجري الحالي، وفي عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) شيدت البلدية مجموعة من الدكاكين المسلحة بمساحات مناسبة تعرف (بالمنشية الأولى)، وتتألف من اثنين وعشرين محلاً^(٣)، واقتصرت الأنشطة فيها على بيع اللحوم والأسماك، والخضروات، والفواكه، والتوابل، والسمن، والعسل، والأواني المنزلية وتم تأجيرها للمواطنين بأسعار رمزية تتراوح ما بين الأربعة آلاف، والخمسة آلاف ريال في السنة^(٤). وفي العام (١٤٣٥هـ/٢٠١٥م) قامت البلدية ببناء مجموعة

(١) زيارة ميدانية للسوق يوم الثلاثاء بتاريخ (٢١/٥/١٤٣٧هـ)، الساعة ٤ م.

(٢) زيارة ميدانية للسوق يوم الثلاثاء (٢١/٥/١٤٣٧هـ)، الساعة ٤ م. مازال أحد هذه الدكاكين القديمة قائماً إلى اليوم بوضعه القديم تقريباً، وهو لعثمان بن مردح الشهري - أحد المعمرين - واستمر يفتحه منذ بنائه إلى عهد قريب ويعرض فيه بعض البضائع التراثية ولكن لكبر سنه لم يستطع الذهاب إليه، وقد حاول الباحث مقابله للاستفادة مما لديه من معلومات بصفته شاهد عيان لكثير من الأحداث في سوق السبت وتعذر ذلك لكبر سنه ومرضه. وقد زاره الأمير سلطان بن سلمان في دكانه عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) ودار بينهما حديث شيق ومنه مطالبة هذا المسن من الأمير الاهتمام بهذا السوق، ووعد الأمير أن هناك خطة لإعادة تأهيله، كما ذكره العم عثمان بتاريخ هذا السوق وأنه كان يصدر الحبوب إلى الرياض والتصميم وبيشة. للمزيد متابعة المقطع على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=68ZkR8u6iml>

آخر زيارة للموقع يوم الجمعة (٥/٧/١٤٣٧هـ - ٢٢/٤/٢٠١٦م). الساعة ١١ مساءً.

(٣) زيارة ميدانية للمنشية الأولى بالسوق. يوم الثلاثاء. (١٩/٧/١٤٣٧هـ). الساعة ٥م.

(٤) حصل الباحث على صورة من عقد إيجار لأحد المحلات بين البلدية ومواطن لفتح ملحمة في سوق السبت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) لمدة عام بمبلغ (٤٠٠٠) ريال.

متكاملة من الدكاكين الحديثة عرفت باسم (المنشية الثانية) - ويبلغ عددها أربعين محلا، واستغلت فيها المساحات بطريقة مقبولة إلى حد كبير، فتبدو أكثر تنظيما من سابقتها من حيث الموقع، والممرات، ومواقف السيارات، والتجهيزات بوسائل السلامة، وخزانات المياه، والإنارة، ودورات المياه، وقسمت إلى مجموعات حسب الأنشطة؛ فهناك قسم للحوم والأسماك، والفواكه والخضروات، وقسم للأواني والمنظفات المنزلية، وقسم للأسر المنتجة، وهي في مراحل تشييدها النهائية، ومن المقرر أن يبدأ التأجير، والتشغيل خلال شهر رمضان من هذا العام (١٤٢٧هـ/٢٠١٦م)^(١).

هـ - قسم بيع المواشي (المجلبة) : تعد من أهم أقسام السوق، وتعرض المواشي قديما خارج ساحة السوق نحو الجنوب، وبعد بناء الدكاكين أصبح للمواشي مكان مخصص فسيح في شرق السوق، ولها طريق مخصص يأتي بها أصحابها معه؛ حتى لا تخترق ساحة السوق، وتعرض في الماضي الأبقار، والأغنام، والإبل، والخيول، والحمير، وأما زبائنها فيصلون إليها عن طريق الممرات التي تربط ساحة السوق بالمجلبة^(٢).

وبعد توسعة السوق في العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري (العشرين الميلادي) نقلت إلى شماله، واقتصر البيع على الأغنام؛ لإقبال الناس عليها دون غيرها من المواشي؛ لسهولة حملها ونقلها في السيارات، وتنشط هذه التجارة قبيل عيد الأضحى. وفي الآونة الأخيرة لم تعد تعرض في سوق السبت إلا نادرا، ويعود ذلك لانتقال سوق المواشي إلى موقع آخر، حيث أصبح سوقا مستمرا لها طوال أيام الأسبوع، وتتفرد الأغنام دون غيرها من المواشي في هذا الموقع^(٣).

وتتجه البلدية في الوقت الحالي إلى نقل سوق المواشي إلى قرب مسلخ البلدية في قرية العوصاء شرق تنومة، حيث جهزت حظائر مخصصة للمواشي وأماكن مناسبة لعرض وبيع الأغنام، بعيدا عن الأحياء السكنية. ولم يتم تشغيلها إلى الآن لعدم انتهاء المشروع وتسليمه للبلدية^(٤).

(١) زيارة لبلدية تنومة القسم الفني يوم الاحد (١٧/٧/١٤٢٧هـ). الساعة ٩ صباحا. وقد حصل الباحث على رسم كروكي للسوق بشكل عام وللمنشية الأولى والثانية. كما قام الباحث بزيارة ميدانية للمنشية الثانية يوم الثلاثاء (١٩/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٤ م.

(٢) مقابلة مع فايز بن عوضة في متجره بتنومة يوم الاحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ). الساعة ٥م. وكذلك قام الباحث بزيارة ميدانية للسوق لمعاينة موقع المجلبة يوم الاحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ). الساعة ٦م.

(٣) انتقل سوق المواشي إلى سهل تنومة في موقع يسمى المثلث حيث يبعد عن سوق السبت حوالي (٢ كم) جنوبا. وقد أزلت البلدية الحظائر؛ لما تسببه من روائح وانتشار للحشرات، واقتصر عرض المواشي في السيارات. مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاما الماضية من القرن (١٥هـ). كونه أحد أبناء تنومة.

(٤) زيارة لبلدية تنومة القسم الفني يوم الاحد (١٧/٧/١٤٢٧هـ). الساعة ٩ صباحا.

خامسا: الادوار الحضارية لسوق السبت:

١. الدور السياسي:^(١)

يقول سليمان شفيق في مذكراته عن أهمية سوق سبت تنومة عسكريا: " وبسبب هذه العقبات كان لسوق السبت أهمية عسكرية"^(٢)، ويلاحظ هنا أنه استخدم صيغة الجمع بقوله (العقبات) وهو يعنى ما يقول؛ فهناك ثلاث عقبات هامة وهي: عقبة ساقين، وهي أهمها، ومن جهة الشمال عقبة (القامة) التي تربط تنومة بالنماص^(٣)، ومن جهة الجنوب عقبة (الدهناء) التي تربط تنومة ببلاد بللسمر، وقد دارت معركة بين قوات الشريف حسين والقبائل الموالية للإدريسي بقيادة محمد بن دليم القحطاني في عقبة دهناء، عندما توجهت قوات الشريف حسين لفك الحصار عن أبها^(٤)، ونلاحظ أن سليمان شفيق رمز لأهمية تنومة بذكر سوقها؛ لأنه مركز الزعامة القبلية ومقر الشيخ شبيلي بن محمد شيخ شمل قبائل بني أثله. وقال عنه سليمان شفيق: " وشيخ مشايخ بني اثلة هو شبيلي بن محمد ..، وهو رجل ذو شخصية بارزة متصف بالشجاعة والنشاط والمروعة"^(٥)، والجدير بالذكر أن ابن العريف كان مواليا للإدريسي، وغير مرحب بالأتراك، ويذكر سليمان أيضا: " كنت أعلم أن الشيخ شبيلي شيخ مشايخ السوق من اشد أنصار الإدريسي ميلا له وتعصيда، حتى أنه كان على رأس جميع قبائله في محاصرة أبها وقام بخدمات عظيمة للإدريسي"^(٦). من هذا النص يبرز الدور السياسي والعسكري لابن العريف في هذه الأحداث، وما يتمتع به من قوة عسكرية ساهمت في حصار الإدريسي لأبها. وهناك مكاتبات بين ابن العريف والإدريسي ومنها: " من محمد بن علي الإدريسي إلى الشيخ الهمام الناصح الأمين في نصره الإسلام شبيلي بن محمد بن العريف شيخ مشايخ بني شهر... وفيها بعد السلام والتحية تجديد العهود بين الطرفين والنصائح"^(٧).

(١) للمزيد عن الوضع السياسي في منطقة عسير بشكل عام، وفي بلاد بني شهر بشكل خاص خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). انظر ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو. ص ١٠٥، وللمؤلف نفسه: عسير في عصر الملك عبدالعزيز (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١٩ وما بعدها.

(٢) شفيق: مذكرات. ص ٢٢٢.

(٣) ذكرها محمد عمر رفيع في رحلته إلى النماص بعد خروجه إليها من تنومة. للمزيد انظر رفيع: في ربوع عسير. ص ١٠٩.

(٤) شفيق: مذكرات. ص ١٧٢. تاريخ النفوذ العثماني في عسير منذ نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى العقد الرابع من القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات التي تستحق أن يفرد لها كتابا أو دراسة علمية موثقة (ابن جريس)

(٥) شفيق: مذكرات. ص ١٧٢.

(٦) شفيق: مذكرات. ص ١٧٢.

(٧) العميري: الوجيز. ص ٤٢٤.

ومن الأحداث السياسية الهامة التي حدثت في سوق السبت قدوم سليمان شفيق إلى سوق السبت في زيارة لابن العريف في عام (١٣٢١هـ/١٩١٢م)، ويذكر سليمان شفيق أنه بعد قدومه من بلحمر، ثم بللسمر، وصولاً إلى تنومة بجنوده ومن معه من المشايخ، بالإضافة إلى نائب متصرف عسير حسن بن عائض اتجهوا جميعاً إلى سوق السبت لمقابلة الشيخ شبيلي الذي لم يكن موجوداً حيث اعتصم مع رجاله بالجبال خشية بطش الأتراك، ولعدم ترحيبه بهم في دياره، وكان سليمان باشا يدرك ذلك. فدخل إلى قصر الشيخ شبيلي بعد أن أعطى الأهالي - على حد قوله - الأمان وعهداً بذلك، وفي اليوم التالي أرسل حسن بن عائض، وبعض المشايخ إلى شبيلي، لإحضاره وإعطائه الأمان وأخبروه أنهم لم يأتوا للقتال، وحضر الشيخ شبيلي مع رجاله، وعاد الناس إلى بيوتهم، ثم يضيف سليمان باشا "وقد أطلقنا في سوق السبت مدافع التحية من ثلاثة مواقع إحدى وعشرين مدفعا من كل موقع إعلاماً للأهالي بوصولنا"^(١). ولم يذكر سليمان باشا السبب الحقيقي لإطلاق هذه المدافع، وإنما أشار إلى أن سبب إطلاق المدافع لإعلام الناس بوصولهم، وإن كان هدفه كما قال فالناس لديهم خبر بوصولهم من اليوم السابق، ولا داعي لإطلاق المدافع لهذا الهدف. وربما إطلاق الواحد وعشرين طلقة؛ هو إعلان انتصاره وسيطرته على بلاد الحجر بما فيها تنومة، كون أهلها وشيخها موالين للإدرسي ووقفوا معه أثناء حصار أبها، وربما لبث الرعب في قلوب من تراودهم أنفسهم بالخروج عن طاعة الأتراك. ويبدو أن سوق السبت هو المكان الوحيد الذي أطلقت فيه مدافع التحية خارج أبها مقر المتصرفية. حسب ما ورد في مذكرات سليمان باشا^(٢).

ومع سيطرة الملك عبدالعزيز على عسير (١٣٤٠هـ/١٩٢١م) أرسل للشيخ شبيلي بن العريف عدة رسائل، ومنها رسالة عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٣) قال فيها: "من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، إلى كافة أعيان بني أثلة ببلاد بني شهر، سلمهم الله،... وبموجب وصول الأخ شبيلي بن محمد إلينا، وإبداء عذره فيما مضى، عذرنا وسمحنا عن الماضي ولأجل ذلك أمرناه بالرجوع إلى محله، وعهدنا إليه بالإمارة عليكم"^(٣). من نص هذه الرسالة وتاريخها يتضح تاريخ دخول ابن العريف وقبائله تحت حكم الدولة السعودية الحديثة.

(١) شفيق: مذكرات. ص ٢٢٢.

(٢) الدارس لتاريخ الأسواق في منطقة عسير يجد أن هناك أسواقاً أخرى في بلاد قحطان، وشهران، وبيشة، وبلاد السروات كان بعضها أكبر وأنشط من سوق سبت تنومة (ابن جريس)

(٣) العميري: الوجيز. ص ٤٥٠. القارئ لتاريخ بني شهر في عهد الدولة السعودية الثالثة يجد أنهم تأخروا في دخولهم تحت لواء ابن سعود، بل واجه الملك عبدالعزيز بعض العقبات حتى أخضعهم لحكمه (ابن جريس)

٢ - إدارة السوق؛ كانت إدارة السوق بإشراف مباشر من ابن العريف، فيراقب حركة السوق؛ وما يحدث من مخالفات، من سرقة أو شجار، وتساهم قبائل الشعفين في حفظ أمن السوق، وحماية التجار وقوافلهم ثلاثة أيام، قبل يوم السوق وبعده. وللسوق مذهب قبلي متعارف عليه^(١)، يرجع إليه عند حدوث مخالفة من أي شخص فيقوم وقبيلته بالغرامة، وعادة ما تكون دفع مبلغ من المال، وذبح عدد من الأغنام من باب التنكيل. والاحتكام إلى الشيخ مباشرة، فيأتي الخصوم يحتكمون عنده. ويروي فايز بن عوضة بأن رجلاً كان يساوم في بعض البضاعة؛ فجاء آخر من خلفه وسرق بعض الرصاص من محزمه ووضعها في عمامته، وعندما قام الرجل اكتشف ذلك فأخبره بعضهم بأن ذلك الرجل هو من سرقه، فذهب إليه فأنكر، وكان الشيخ شيبلي يراقب من أعلى فلفت نظره شجارهما، فاستدعاهما إليه، وكان كلاهما مصراً على موقفه فقام وأسقط عمامة السارق من على رأسه؛ فإذا الرصاص يقع منها، فأعادته إلى صاحبه وعاقب السارق، حسب عرف السوق^(٢). ومن الأحداث الأخرى أيضاً^(٣)؛ أن رجلاً من إحدى القبائل القريبة من تنومة، كان بينه وبين أحد أفراد قبيلته خلاف، فلحق به إلى أحد المواقع القريبة من سوق السبت، فتشاجر معه وضربه، وعندما وصل الخبر إلى ابن العريف حامي السوق، قبض رجاله على الجاني واستدعوا شيخ قبيلته الذي استعد بدفع غرامة السوق ومقدارها (ريالان فرانسوي)، ثم استعد لاستقبال مائة رجل من قبائل الشعفين؛ ليقوم بالغرامة القبلية وفق مذهب السوق، وذبح عدداً من الأغنام لحماة السوق، ووفدوا عليهم في عرضة يقول فيها شاعر الشعفين ابن خشلة^(٤):

يا الله يا عالم بالوقت وما تقدم
يا سلام لكم تسليم يغشى الجبال وسهلها
يا سلام يا سيف شابي على اللباس ومذهب
قالها شاعري في لابة ما حسبوا بيع الدمي
أفنا من محون الوقت بأمر يامكاي
أربع خصال ما يعذر بها من بغى النوماس واي

(١) للأسف لم يستطع الباحث الحصول على نسخة مكتوبة من هذا المذهب، ربما يكون قد اختفى وتلف مع تقادم الزمان، أو أنه كان عرفاً شفهيًا، تناقلته القبائل واعتمدت عليه. (رشاد الشهري). هذا كلام غير صحيح، فالسوق معروف ونشط، ولهذا لا بد من أن يكون هناك وثائق تدور حول أمنه والحفاظ عليه، ولعلك لم تستطع الحصول عليها (ابن جريس).

(٢) مقابلة مع فايز بن عوضة. في متجره بتنومة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ)، الساعة ٥م.

(٣) أخبرني بالقصة فايز بن عوضة: في مقابلة معه في متجره بتنومة يوم الأربعاء (٦/٦/١٤٢٧هـ). الساعة ٣٠م.

(٤) ابن خشلة: هو عوض بن عبد الرحمن بن سلطان بن خشلة الشهري من قبيلة آل حسين، شاعر قبائل الشعفين منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي وكانت وفاته ما بين عامي (١٣٧٠هـ و ١٣٧٥هـ). أفاد بهذه الترجمة حفيده عبد الرحمن سعيد الشهري. وذلك عبر مكالمة هاتفية يوم الثلاثاء. (١٩/٧/١٤٢٧هـ). الساعة العاشرة مساءً.

سَائِرِ الْجَنْبِ وَالْجِيرَانَ وَالزَّادَ وَأَسْوَاقِ أَهْلِهَا مِنْ سَابِقِ الْجِدَانِ صَارَتْ بِحَقِّ وَمَذْهَبٍ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَالْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ يُمْكِنُ اسْتِخْلَاصُ أَنَّ هُنَاكَ مَذْهَبًا لِلسُّوقِ مَتَعَارَفًا عَلَيْهِ، تَخْضَعُ جَمِيعُ الْقِبَائِلِ لِقَوَانِينِهِ. وَمَعَ اتِّسَاعِ السُّوقِ وَبِنَاءِ الدَّكَائِنِ زَادَتْ الْحَرَكَةُ التِّجَارِيَّةُ، وَأَصْبَحَ بِحَاجَةِ أَكْبَرَ لِلْمُرَاقَبَةِ وَضَبْطِ الْأَمْنِ، وَمِنْ حَسَنِ الْحِظِّ أَنَّ الدَّوْلَةَ مِنْذُ خَمْسِينَاتِ الْقَرْنِ (١٤هـ/٢٠م) اسْتَقْرَتْ وَأُرْسَتْ دَعَائِمُ الْأَمْنِ فِي الْبِلَادِ، وَقَامَتْ بِإِنْشَاءِ الْإِمَارَاتِ فِي الْمَنَاطِقِ، وَمِنْهَا إِمَارَةُ النَّمَاصِ الَّتِي تَوَلَّتْ مَسْئُولِيَّةَ حِفْظِ الْأَمْنِ وَضَبْطِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَسْوَاقِ وَمِنْهَا سُوْقُ السَّبْتِ بِتَنْوَمَةٍ؛ فَكَانَتْ تَرْسِلُ الْأَخْوِيَاءَ لِمِثْلِ تِلْكَ الْمَهْمَةِ^(١). وَمِنْذُ افْتِتَاحِ بَلَدِيَّةِ تَنْوَمَةٍ فِي تَسْعِينَاتِ الْقَرْنِ الْهَجْرِيِّ الْمَاضِي تَوَلَّتْ مَهْمَةُ مِرَاقَبَةِ السُّوقِ وَضَبْطِ الْأَسْوَاقِ وَفَرَضِ الْغَرَامَاتِ وَأَخَذِ الرُّسُومِ، إِضَافَةً إِلَى دَوْرِيَّاتِ الشَّرْطَةِ الْمَتَوَاجِدَةِ يَوْمَ السُّوقِ لِحِفْظِ الْأَمْنِ.

لَمْ يَثْبُتْ لِلْبَاحِثِ أَنَّ الشَّيْخَ ابْنَ الْعَرِيفِ وَقِبَائِلَهُ يَأْخُذُونَ ضَرَائِبَ عَلَى التِّجَارِ، وَلَا يُمْكِنُ نَفْيُ ذَلِكَ عَلَى الْأَقْلِ مِقَابِلِ الْحَمَايَةِ. وَفِي سَبْعِينَاتِ الْقَرْنِ (١٤هـ/٢٠م) يَدْفَعُ كُلُّ صَاحِبِ دُكَّانٍ قَرَشَيْنِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ، وَهَذَا الْمَالُ يَنْفَقُ عَلَى صِيَانَةِ وَفَرَشِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ^(٢). وَيَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ، مَعَ التَّزَامِ الْجَمِيعِ بِالِدْفَعِ حَرَصًا مِنْهُمْ عَلَى الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى الْمَسْجِدِ. وَيَذْكَرُ لِي أَحَدُ الرُّوَاةِ؛ أَنَّهُ فِي بَدَايَةِ حُكْمِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى عَسِيرِ كَانَ يَأْتِي مِنْ إِمَارَةِ أَبْهَا مِنْ يَحْصُلُ الضَّرَائِبُ، الَّتِي يَجْمَعُهَا ابْنُ الْعَرِيفِ مِنَ التِّجَارِ، وَمَعَ افْتِتَاحِ الْإِمَارَةِ بِالنَّمَاصِ عَامَ (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)^(٣)، كَانَ يَفِدُ إِلَى السُّوقِ كُلِّ سَبْتٍ مَجْمُوعَةً مِنْ أَخْوِيَاءِ الْإِمَارَةِ لِمُرَاقَبَةِ السُّوقِ وَأَخَذِ الرُّسُومِ مِنَ التِّجَارِ مِبَاشَرَةً^(٤). وَيَبْدُو أَنَّ ارْتِبَاطَ سُوْقِ السَّبْتِ مِنْ حَيْثُ دَفَعِ الضَّرَائِبُ اسْتَمَرَّ مَرْتَبِطًا بِمَالِيَّةِ أَبْهَا إِلَى مَا بَعْدَ (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م) لَوْجُودِ رِسَالَةٍ بِتَارِيخِ (٢٢/٥/١٣٥٨هـ- ١٩٣٩/٧/٩م) مِنَ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى ابْنِ الْعَرِيفِ يَطْلُبُ مِنْهُ رَفْعَ قِيَمَةِ بَعْضِ الرُّسُومِ وَالتَّوَاصَلَ مَعَ مَدِيرِ مَالِيَّةِ عَسِيرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَبُو مَلْحَةَ بِهَذَا الْخُصُوصِ، وَارْسَلَتْ رِسَالَةً

- (١) مِقَابِلَةٌ مَعَ فَايْزِينَ عَوْضَهُ فِي مَتَجَرِهِ فِي تَنْوَمَةٍ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ (٦/٦/١٤٣٧هـ). السَّاعَةُ ٣٠، ٤م.
- (٢) مِقَابِلَةٌ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ شَبَابٍ فِي مَتَجَرِ فَايْزِ بْنِ عَوْضَهُ يَوْمَ السَّبْتِ، (١١/٥/١٤٣٧هـ) السَّاعَةُ ٥م. حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ مُؤَدِّنًا لِلْجَامِعِ فَكَانَ يَكْفِيهِ بِالْمُرُورِ عَلَى الدَّكَائِنِ لِأَخْذِ هَذِهِ الْمِبَالِغِ مِنْ أَصْحَابِهَا.
- (٣) ابْنُ جَرِيْسٍ، غَيْثَانُ: تَارِيخُ وَحَضَارَةُ جَنُوبِي الْبِلَادِ السُّعُودِيَّةِ. (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). ص ١١٣.
- (٤) مِقَابِلَةٌ مَعَ فَايْزِ بْنِ عَوْضَهُ فِي مَتَجَرِهِ يَوْمَ السَّبْتِ (١١/٥/١٤٣٧هـ). السَّاعَةُ ٥م. مِنْ الْمُرْجَحِ أَنَّ مَهْمَةَ أَخْذِ الرُّسُومِ بِوَأَسْطَةِ إِمَارَةِ النَّمَاصِ كَانَ بَعْدَ عَامِ (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م). أَمَا قَبْلَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ فَكَانَتْ السُّوقُ تَرْتَبِطُ مِبَاشَرَةً مَعَ مَالِيَّةِ أَبْهَا بِهَذَا الشَّأْنِ. يَا رِشَادُ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَى وَثَائِقِ مَالِيَّةِ عَسِيرِ مِنْ عَامِ (١٣٤٠-١٣٧٠هـ/١٩٢٠-١٩٥٠م) لَوَجِدْتَ أَنَّ مَالِيَّةَ عَسِيرِ كَانَتْ تَرْسِلُ مِمْتَلِينَ لَهَا فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ جَنُوبِي الْبِلَادِ السُّعُودِيَّةِ مِنْ أَجْلِ جَمْعِ الضَّرَائِبِ وَالرُّسُومِ وَالزُّكُوتِ، وَكَانَ هُنَاكَ بَعْضُ الْمَوْظُفِينَ الْمَقِيمِينَ فِي بَعْضِ النُّوَاحِي لِلْهَدْفِ نَفْسَهُ (ابْنُ جَرِيْسٍ).

أخرى بتاريخ (١٣٦٦/١/٠٠...١٩٤٦/١٢/م) من امارة عسير مفادها بأن الملك عبدالعزيز أمر بعودة هذه الالتزامات إلى سابق عهدها وان تدفع عينا^(١).

وأشار ابن جريس الى الطريقة التي تجبى بها ضرائب الاسواق عام (١٣٥١هـ/١٩٣١م) حيث تؤخذ على جميع الأصناف المعروضة، ويعهد رئيس المالية في عسير إلى شخص ذو عقل وعدل؛ بتحصيل رسوم الأسواق الأسبوعية بطريق الالتزام، فيدفع مبلغا معيناً للمالية، ثم يجبي الضرائب لنفسه، وكانت تعرض بعض السلع دفعة واحدة مثل السمّن، ويقرر على كل ريال من قيمته ربع قرش، ويكون له مكان مخصص في السوق لبيعه، ويمنع بيعه في الدكاكين، وهذه الاجراءات ناتجة عن تهرب بعض التجار من دفع الضرائب، وقد صدر بذلك قرار حكومي عام (١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م)^(٢)، ولا يستبعد أن هذا النظام شمل سوق السبت، اما مقدار الرسوم في العقدين السابع والثامن من القرن الهجري الماضي فكانت على النحو التالي^(٣): (١) حمل البعير عليه خمسه ريال عربي (٢) على الدكان ريالين كل سبت. (٣) على راس الغنم ريال. (٤) على رأس البقر ريالان.

ومع التطور الإداري وإيجاد البلديات توقف أخذ الرسوم بهذه الطريقة فأنشئت البلدية في تنومة عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) وأصبحت المسؤولة عن أخذ الرسوم على الدكاكين، وإعطاء التراخيص، ومراقبة السوق وفق أنظمة وزارة الشؤون البلدية والقروية، فيؤخذ على كل ترخيص مبلغ (١٢٠) ريالاً عند كل تجديد، إضافة الى دفع رسم اضافي قدره (٢٠٠) ريال على كل متر مربع من اللوحة الاعلانية التي تعلق في واجهة الدكان^(٤).

٣- الدور الاقتصادي: الناحية الاقتصادية من أهم أدوار السوق؛ للعلاقة المتلازمة بين الأسواق والاقتصاد. فسوق سبت تنومة من العلامات الفارقة في الاقتصاد المحلي، وبخاصة في القرن الهجري الماضي، وتنومة بلد زراعي بامتياز؛ لتوفر مقومات الزراعة من أرض خصبة واسعة، ومياه وافرة، ومناخ مناسب، مع وجود الأيدي العاملة المحلية، وهناك أيضا من يربي الأبقار والأغنام، ومن هنا يأتي دور سوق السبت؛ لتسويق السكان لمنتجاتهم، وشراء ما يلزمهم من سلع أخرى.

- (١) هناك العديد من الوثائق والمراسلات بين الشيخ عبدالوهاب أبو ملحمة وابن العريف وبعض شيوخ بني شهر. للمزيد انظر بعضا من هذه الوثائق في سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عشرة أجزاء)
- (٢) ابن جريس، غيثان: عسير في عهد الملك عبدالعزيز. ص ٩٠-٩١.
- (٣) مقابلة مع فايز بن عوضه في متجره بتنومة يوم الاربعاء (١٤٢٧/٦/٦هـ). الساعة ٥م. حيث كان أحد تجار السوق في تلك الفترة.
- (٤) زيارة ميدانية لبلدية تنومة يوم الاحد (١٤٢٧/٧/١٧هـ). الساعة ٩ صباحا. ومقابلة شخصية مع رئيس قسم صحة البيئة خالد فواز الشهري الذي أفاد بهذه المعلومات.

فالواردات؛ وهي كل ما يأتي إلى سوق السبت من بضائع، وبالنظر إلى احتياجات الناس في الماضي؛ نجدها كانت مقتصرة على سلع محددة يشترك فيها جميع الناس في منطقة عسير ومعظم أنحاء جزيرة العرب، وهي محصورة على السلع الضرورية من المواد الغذائية المنتجة محليا، وبعض الأقمشة والحيوانات الداجنة، إضافة للأسلحة والبخور وبعض الكماليات الأخرى. فتأتي التمور من ببشة وأفضل أنواعها الصفري^(١)، ويأتي من البادية الشرقية المواشي مثل الإبل والأغنام والخيول، وذكر كورنواليس عن سبت ابن العريف أنه "... مركز تجاري هام للبدو الشرقيين الذين يجلبون البلح والخيول والجمال..."^(٢).

ومن أهم صادرات البوادي سمن الأغنام^(٣). ومن ساحل تهامة وبخاصة من ميناء القنفذة الملح، والأقمشة، والسكر، والأرز والقاز^(٤)، ومن جبل رازح باليمن تصدر القهوة عن طريق الحجاج إلى بلاد قحطان، ثم يقوم تجار سراة عبيدة بتوريدها إلى الأسواق الأسبوعية في بلاد السراة^(٥)، وأحيانا يأتي بها حجاج اليمن معهم مباشرة إلى سوق السبت، كونه أحد محطاتهم الرئيسية. وكانت ترد إلى هذا السوق الأسلحة مثل: البنادق، والرصاص، والخناجر، والسيوف^(٦). ومع تطور السوق واستقرار البلاد سياسيا، وتحسن طرق المواصلات، بدأت تغد إلى السوق منذ ثمانينيات القرن (١٤٠هـ/٢٠م) سلع مستوردة مثل العطور، والأحذية، والملابس، وأواني الطبخ، والأرز، والشاي والسكر، وبعض الفواكه مثل البرتقال والتفاح والموز^(٧). أما اليوم فترد إلى السوق الفواكه والخضروات من مناطق المملكة، ومن بعض دول العالم، وأهم ما يعرض في السوق فواكه الصيف الموسمية مثل: البطيخ، والشمام، والمشمش، والخوخ، والعنب، إضافة إلى المستورد منها مثل الرمان والعنب اليمني، والبرتقال المصري، والتفاح الأمريكي وغيرها، وأهم المنتجات روجا البلح والتمور المستوردة من القصيم وببشة^(٨).

- (١) الصفري: يعد من أنواع التمور الفاخرة عند أهل السراة، وتتراوح أسعاره في وقتنا الحاضر ما بين (٧٠ و٥٠) ريالاً للكيلو الواحد. زيارة ميدانية للسوق يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢٢هـ). من الساعة ١٢ إلى ٢ ظهراً.
- (٢) كورنواليس: عسير. ص ٢٧.
- (٣) مقابلة شخصية مع سعيد بن ركبان الشهري، في إحدى المناسبات الاجتماعية بتنومة، يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢٢هـ)، الساعة ٨، ٣٠ م.
- (٤) يقصد بالقاز الكيروسين الذي يستخدم في إشعال النار، وفي إشعال السرج والفوانيس للإضاءة ليلاً، والحقيقة لا يعلم مصدره إلا أنه يأتي عن طريق ميناء القنفذة في براميل. مقابلة مع فايز بن عوضه في متجره بتنومة يوم الأربعاء (١٤٢٧/٦/٦هـ). الساعة ٥م.
- (٥) كونوراليس: عسير. ص ١١.
- (٦) ابن جريس: عسير. ص ١٧٣.
- (٧) المقابلة السابقة مع فايز بن عوضه حيث كان معاصراً لكل تطورات السوق التاريخية وكان يمتلك دكاناً في السوق.
- (٨) مشاهدات الباحث على مدى ثلاثين عاماً الماضية.

أما الصادرات؛ فتشتهر تنومة منذ القدم بإنتاج الحبوب، يقول البركاتي: "... ويزرع في هذا الوادي. يقصد تنومة. الحنطة والشعير والعدس"^(١) وكانت تعرض الحبوب بكميات كبيرة في السوق، فتهافت عليها التجار والمتسوقين من مختلف القبائل، والمناطق. ويزرع القمح في معظم تنومة، وأشهر مكان يزرع فيه جبال قريش في جنوبي تنومة^(٢). ويعد القمح من أهم صادرات تنومة، ولم يقتصر تصديره إلى المناطق المجاورة فحسب؛ بل وصلت هذه السلعة إلى نجد، يقول البركاتي: " وجميع أهل الشرق ونجد وبيشه يفتنون على بني شهر القاطنين بالحجاز بالتمر والإبل والخيل ويشترون منهم الحبوب"^(٣). كما ينتج العسل محليا، ومن أجوده الشوكة، والضحيان، والقتاد، والمجره^(٤)، ويعرض وقت إنتاجه في سوق السبت بكميات كبيرة، ويحفظ قديما في أوعية مصنوعة من جلود الماعز. أما في وقتنا الحالي فيعرض العسل في أواني معدنية وبلاستيكية، ومن السلع التي تنتج محليا سمن الأبقار التي يربئها الأهالي فلا يخلو منزل من وجود أكثر من بقرة؛ لاعتماد الناس عليها في الزراعة، وإنتاج الألبان والسمن^(٥). ويتأثر الإنتاج الزراعي، والحيواني سلبا بعوامل المناخ، من قحط، أو نزول برد، أو موجات صقيع، أو آفات زراعية. وأهم ما يعرض من منتجات محلية في سوق السبت اليوم؛ الخضروات بأنواعها ومنها الورقية^(٦)، والطماطم، والكوسة، والفاصوليا، والجزر، والخيار، والفلفل الحلو وغيرها، بالإضافة لبعض الفواكه الصيفية مثل العنب، والخوخ، والمشمش، والكمثرى، والتين الشوكي، كما تعرض السلع التقليدية المنتجة محليا مثل الحبوب، والعسل، والسمن. أما المواشي فقل ما تجدها في السوق ما عدا الأغنام التي يكثر عرضها قبيل عيد الأضحى، وتباع الدواجن البلدية، والحمام، والأرانب أسبوعيا^(٧).

- (١) البركاتي: الرحلة اليمانية. ص ٤٦.
- (٢) يتميز القمح القادم من جبال قريش بغزارته وجودته، ويأتي القمح أيضا من بلسمر جنوباً والظاهرة والنماص شمالاً. المقابلة السابقة مع فايز بن عوضه.
- (٣) البركاتي: الرحلة اليمانية. ص ٤٦.
- (٤) الشوك: المعروف بالطلع وهي أشجار شوكية كبيرة تكثر في بلاد السراة دون غيرها وتزدهر في فصل الصيف وعسلها من أجود أنواع العسل. القتاد: نباتات شوكية صغيرة تزدهر في فصل الربيع وتكثر في الأصدار يتميز عسلها بلونه الشفاف وخفته ولذة طعمه. الضحيان: شجيرات شوكية تنبت في الأصدار. المجره: نبتة صغيرة ورقية تزدهر في بداية الربيع وتنبت في الشعوف ويتميز عسلها بأنه جامد ثقيل ولذيذ الطعم ولندرته يعد من أغلى أنواع العسل. مقابلة شخصية مع الوالد عبد الله علي الطنيني في منزله يوم السبت (١٥/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٤ م. وهو صاحب منحل وله خبرة بتربية النحل لأكثر من أربعين عاما.
- (٥) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضه. في متجره. يوم السبت (١١/٥/١٤٢٧)، الساعة ٥م.
- (٦) مثل: البقدونس والكزبرة والخس والجرجير والسلق والسبانخ والحلبة والخردل وغيرها.
- (٧) مشاهدات الباحث على مدى ثلاثين عاما. كونه أحد أبناء تنومة.

أما الأسعار؛ فقد وصف البركاتي في الثلث الأول من القرن الهجري الماضي، أسعار الحبوب في تنومة بالرخيصة، فكانت تباع تسعة أمداد من القمح بريال، وكل ثلاثة عشر مدا من الشعير بريال، وثمانية أمداد من العدس بريال، وإردب القمح^(١) بثلاثة ريالات، وإردب الشعير والعدس بريالين، وكانت العملة المستخدمة هي الريال الفرنسي^(٢). وربما يرى البركاتي أن هذه الأسعار رخيصة مقارنة بمكة مقر اقامته^(٣). ويرى الباحث أن هذه الأسعار تعود إلى غزارة الإنتاج، وربما ضعف القدرة الشرائية عند الناس؛ لعدم توفر السيولة النقدية، واعتمادهم حتى عقود قريبة على المقايضة التجارية. ومع الرخاء الذي عم البلاد ارتفعت الأسعار بالتدريج، ففي العقد الثامن من القرن الهجري الماضي، كان سعر مد القمح والشعير بريال عربي، أما القهوة فسعر الثمينة^(٤) ريال عربي، ومنذ أواخر القرن الهجري الماضي، وبداية القرن الحالي أصبح سعر مد القمح يتراوح ما بين خمسة إلى العشرة ريالات، ومنذ العقد الثالث من هذا القرن الهجري إلى وقتنا الحاضر يتراوح مد القمح ما بين العشرة إلى العشرين ريالاً سعودياً؛ وأما الشعير المحلي فهو أعلى حيث يتراوح سعر المد من الثلاثين إلى الخمسين ريالاً؛ ويعود ذلك إلى عزوف الناس عن زراعته^(٥).

ومن الملاحظ أن البلدية لا تتدخل في أسعار الحبوب والعسل والسمن والمنتجات الزراعية، والمواشي وتتركها للعرض والطلب، واقتصر دورها على مراقبة الموازين والمكاييل دون تحديد الأسعار وتستند البلدية في ذلك إلى الفقرة الخامسة من نظام البلديات الصادر بمرسوم ملكي في (٢١/٢/١٣٩٧هـ)، وتمت مخاطبة بلدية تنومة بذلك في (١٠/٥/١٤٣٦هـ) رداً على استفسارهم بما يخص الأسعار بخطاب رقم (١٤٠٥ بتاريخ ٦/٥/١٤٣٦هـ)^(٦).

أما محلات المواد الغذائية، ومحلات الخياطة الرجالية والنسائية، ومطاحن الحبوب والتوابل فهي خاضعة لتسعيرة البلدية ومراقبتها^(٧).

(١) أردب القمح يساوي (١٥٠ كج). وأردب الشعير يساوي (١٢٠ كج).

(٢) البركاتي: الرحلة اليمانية. ص ٤٦.

(٣) لا يستبعد الباحث أن البركاتي قد قام بزيارة لسوق السبت، ولاسيما أنه ذكر أنهم صعدوا إلى تنومة يوم الثلاثاء ومكثوا فيها ستة أيام ينتظرون تلاحق قواتهم عبر عقبة ساقين، فعلى ذلك كان رحيلهم يوم الأحد فكانت لديه فرصة لزيارة السوق يوم السبت، وما يؤكد ذلك أنه عرف أسعار السلع الهامة وخاصة الحبوب والعملة المتداولة، فلا يكون ذلك الا بخبرة ومشاهدات مباشرة في السوق.

(٤) الثمينة تساوي ثمن المد.

(٥) زيارة ميدانية لبعض مطاحن الحبوب في تنومة، ومقابلة محمد البرودي تاجر وصاحب مطحنة حبوب في سوق سبت تنومة يوم السبت (٢/٦/١٤٢٧هـ). الساعة ٤ م.

(٦) زيارة ميدانية لبلدية تنومة في يوم الثلاثاء (١٨/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٩ صباحاً. والحصول على صورة من الخطاب.

(٧) زيارة ميدانية لبلدية تنومة يوم الثلاثاء (١٨/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٩ صباحاً. والحصول على قائمة بأسعار المطاحن ومحلات الخياطة النسائية ويوجد سبعة منها في السوق وما زالت تعمل الى يومنا هذا.

أما مقدار أجرة الجمال والدواب من أبها إلى تنومة عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، فكان (١٢) ريالاً^(١). ويبدو أن هذه الأسعار لم تتغير كثيراً إلى بداية العقد الثامن من القرن الهجري الماضي؛ لأن الظروف الاقتصادية لم تتغير كثيراً، ومن الطبيعي تغير الأسعار مع تحسن الأوضاع المالية وبعد افتتاح الطريق الرئيسي من أبها إلى الطائف في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويذكر الأملعي في رحلته من أبها إلى النماص في العقد الثامن من القرن الهجري الماضي؛ إن إيجار السيارة عبر هذا الطريق الوعر لا تقل عن (٥٠٠) ريال^(٢).

ومن المتوقع أن إيجار السيارة من أبها إلى سوق السبت لا تختلف كثيراً عن هذا السعر، فقد تصل إلى (٤٥٠ريالاً). أما في وقتنا الحالي فأصبحت أسعار النقل رخيصة مقارنة بالماضي نتيجة لتطوير الطريق، فسيُعر النقل من سوق تنومة إلى سوق خميس مشيط يتراوح ما بين (٢٠٠ إلى ٤٠٠) ريالاً لسيارة النقل الصغيرة حمولة (٣طن)، وأسعار الشاحنات المتوسطة (١٠طن) تتراوح أسعارها ما بين (٥٠٠ إلى ٦٠٠) ريال وكلما زادت المسافة ارتفع الإيجار^(٣).

ومن أنواع البيوع: (١) البيع النقدي: وهي عملية البيع والشراء باستخدام العملات النقدية المختلفة مثل الريال الفرنسي، والجنيهات الذهبية وغيرها قديماً، فإذا اشترى أحدهم سلعة ما يدفع ثمنها للبائع مباشرة، ولكن هذه الإمكانية ليست متاحة للجميع لعدم توفر العملة لأغلب الناس، فيضطرون إلى المقايضة أو الأخذ بالدين، أو الرهن فيرهن الرجل أشياء من مقتنياته الثمينة مثل سلاحه، وقد يصل به الأمر إلى رهن إحدى مزارعه^(٤)، ولم تتحسن القدرة النقدية لدى الناس إلا مع انتعاش اقتصاد المملكة العربية السعودية، وتوفر العملة (الريال السعودي) لدى الناس منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن تلك الفترة إلى يومنا هذا شهد الاقتصاد الوطني طفرة اقتصادية كبرى، توفرت على إثرها الوظائف والفرص التجارية التي ساهمت في توفير النقد لدى المواطنين، كما ساعدت البنوك في توفير المبالغ النقدية لهم عن طريق الاقتراض. **(٢) المقايضة:** وهي أن يشتري الشخص سلعة بسلعة أخرى وتقدر قيمة السلعة تقديراً، أو عرفاً بين الناس في الأسواق، فمثلاً يقايض مد تمر بمدتين قمح، وقس على ذلك باقي السلع. ويلجأ الناس للمقايضة لضعف القدرة الشرائية بالنقد،

(١) ابن جريس، غيثان: عسير في عصر الملك عبدالعزيز. (مطابع دار البلاد، جدة ١٩٩٩م). ص ٦٧.

(٢) الأملعي: رحلات. ص ٩٠.

(٣) زيارة ميدانية لموقع شاحنات النقل الصغيرة والمتوسطة في تنومة، ومقابلة بعض السائقين للتعرف على أسعار النقل يوم السبت (١٥/٧/١٤٢٧هـ). الساعة (٤م).

(٤) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضة. في متجره بتنومة. يوم السبت (١١/٥/١٤٢٧)، الساعة ٥م.

والمقايضة من المعاملات التجارية القديمة ولم تكن مقتصرة على الأسواق المحلية بل كانت منتشرة بين الناس في الجزيرة العربية وخارجها^(١)، والمقايضة من أكثر المعاملات التجارية التي يتعامل بها المتسوقون؛ من تجار ومستهلكين في سوق سبت تتومة حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)^(٢).

(٣) الدفع بالأجل؛ نظراً لظروف الناس الاقتصادية الضعيفة قديماً، كان هذا النوع من التعامل التجاري موجوداً، فيشتري الرجل سلعة هو بحاجةها ويتفق مع البائع على أجل محدد بينهما للدفع إما نقداً أو من محاصيله الزراعية، ويأخذ البائع كافة الضمانات على المشتري ليضمن حقه، وفي بعض الأحيان تكون الثقة بين الطرفين هي الضمان.

أما العملات والمقاييس والمكايل والموازين؛ فيذكر البركاتي أن الناس في تتومة يتعاملون بالريال الفرنسي والمعروف بأبي طيرة ويساوي عشرة قروش مصرية^(٣). وربما كانت العملة الرئيسية التي يسعر بها التجار البضائع. ولا يعرف سبب انتشار هذه العملة بين الناس، وتحتاج إلى بحث. وكذلك اشتهر الجنيه الانجليزي المسمى أبو خيال ويساوي (١٢٠ قرشاً) تركيا^(٤)، ومن العملات الأخرى التي كان يتعامل بها الناس في سوق السبت؛ الجنيه العثماني المعروف (بالعصملي)، والجنيه البشري، والجنيه الإنجليزي، والروبية الهندية، والجنيه المجيدي وهو عملة ذهبية عثمانية^(٥).

وبعد استقرار البلاد تحت الحكم السعودي، اعتمد الريال السعودي كعملة رئيسية للدولة، فسكت في البداية القرش والقرشين، والربع ونصف الريال، وهي مصنوعة من المعدن، ثم ظهرت العملة الورقية بفئاتها المختلفة؛ الريال والخمسة والعشرون والخمسين، والمائة، ثم الخمسمائة ريال^(٦).

أما المقاييس والمكايل والموازين؛ فكانت شبه موحدة في معظم الأسواق ومتعارف عليها بين الناس بشكل عام، وبعضها يعود إلى ما قبل الإسلام مثل المد والصاع. وكانت تستخدم في سوق السبت في كيل الحبوب والتمور. فالمد: وهو وعاء مصنوع من

(١) ابن جريس، غيثان: نجران: دراسة تاريخية حضارية، ج ١. ص ٢٨٠.

(٢) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضه في متجره، السبت (١١/٥/١٣٧هـ)، الساعة (٥م).

(٣) البركاتي: الرحلة اليمانية. ص ٤٦. انظر كورنواليس: عسير. ص ٢٤. حيث ذكر ان الريال الفرنسي هو دولار ماريا تريزا، ويساوي (١٢) قرشاً تركيا. وأضاف ابن جريس انه عملة من الفضة ضربت في النمسا عام (١١٩٥هـ/١٧٨٠م). انظر ابن جريس: القول المكتوب، ج ٩. ص ٢٣٣.

(٤) كورنواليس: عسير. ص ١٢.

(٥) ابن جريس: القول المكتوب، ج ٩. ص ٢٣٣.

(٦) ابن جريس: بلاد بني شهر وبني عمرو. (الطبعة الثالثة) ص ١٦٤-١٦٥.

الخشب ويساوي (٣) أقق، والأفة تساوي (٤٥٠) جرام^(١). والصاع: يساوي (٣) أمداد والفرق: يساوي (٣) أصواع أي (١٢) مدا^(٢). والأفة^(٣): وتوزن بها لحوم الأغنام، والبقر وكان للجزارين قديما قسما خاصا جنوب السوق، ولم يعرف الناس استخدام الميزان بالكيلوجرام؛ إلا في ثمانينيات القرن الهجري الماضي^(٤). وما ذكره البركاتي عن الإردب من القمح والشعير، فهذا المكيال غير معروف عند أهل تنومة ولم يتعاملوا به^(٥). ويرى الباحث أن البركاتي عندما رأى أكوام الحبوب قدرها تقديرا بالإردب، وبالنظر للأسعار التي ذكرها فهي غير منطقية حيث ذكر أن إردب القمح بثلاثة ريالات بينما سعر التسعة أمداد بريال، ويعني ذلك أن سعر الإردب الذي يساوي (١٥٠) كجم لا يقل عن (١٥) ريالاً. ولاسيما أن كورنواليس قد ذكر أن بعض السلع توضع على شكل أكوام ويحسب حجمها بشكل تقريبي^(٦). وتستخدم الأوعية المصنوعة من جلد الماعز الصغير والمعروفة محليا (بالعكة) وهي وعاء للحفظ، ويوضع فيها السمن والعسل. وفي الثلاثة عقود الماضية من القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) إلى يومنا هذا تلاشت معظم هذه المكاييل والموازين بالتدريج فلم يعد من تلك المكاييل المتعددة إلا المد الذي يساوي (٢٧٠٠) جرام ويكون معتمدا من البلدية بوجود ختم عليه، واعتماد وحدة الجرام في الموازين^(٧). أما العسل والسمن فتسعر إما بالكيلو جرام، أو بالإناء المعروضة فيه.

أما المقاييس فتستخدم قديما في قياس الأقمشة التي تباع في السوق؛ مثل: الذراع والباع، والهنداسة وهي قطعة حديدية طولها حوالي (٧٠) سم، ولم تعرف المقاييس بالمتراً إلا في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الهجري الحالي^(٨). وأصبحت وحدة المتر هي وحدة القياس المعتمدة من قبل البلدية^(٩).

- (١) من الملاحظ اختلاف سعة المد من مكان لآخر ومن عصر لعصر، حيث كان بحجم يساوي (٤٥٠) جم، وهناك حجم آخر له بحوالي (١٥٠٠) جرام، أما الموجودة اليوم والمتعارف عليها فيساوي (٢٧٠٠) جرام.
- (٢) انظر، ابن جريس: بلاد بني شهر وبني عمر. ص ١٦٥.
- (٣) الأفة: قطعة من الحديد، ومنها الأفة ونصف الأفة وربع الأفة وتساوي الأفة (٤٠٠) درهم أو رطلين ونصف. للمزيد انظر ابن جريس: عسير في عصر الملك عبدالعزيز. ص ٢١٢.
- (٤) مقابلة مع فايز بن عوضه في متجره بتنومة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ)، الساعة ٥م.
- (٥) مقابلة شخصية مع محمد علي البرودي يوم الجمعة (٢/٦/١٤٢٧هـ)، في دكانه الساعة ٤م. مازال له محل في الجزء الجنوبي من السوق لطحن وبيع القهوة والتوابل والحبوب،
- (٦) كورنواليس: عسير. ص ١٢.
- (٧) زيارة ميدانية لبلدية تنومة يوم الثلاثاء (١٨/٧/١٤٢٧هـ)، الساعة ٩ صباحاً. والحصول على صورة من خطاب موجه للبلدية من أمانة عسير يحدد صلاحية البلدية بمراقبة الموازين والمكاييل والمقاييس ومتابعة وضع الدمغة عليها سنويا.
- (٨) ابن جريس: بلاد بني شهر وبني عمرو. ص ١٦٥-١٦٦. وللمزيد انظر ابن جريس: القول المكتوب، ج ٩. ص ٢٢٢-٢٢٤.
- (٩) زيارة ميدانية لبلدية تنومة يوم الثلاثاء (١٨/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٩ صباحاً. حيث أفاد بذلك رئيس قسم صحة البيئة خالد فواز الشهري.

٤- الدور الاجتماعي : تعتبر الأسواق الأسبوعية عموماً من المظاهر الاجتماعية الهامة، فيجتمع الناس فيها لأهداف عدة؛ مثل: التسوق والالتقاء وتبادل الأخبار . والناس في الماضي ينتظرون يوم السوق بفارغ الصبر . أما في الوقت الحالي فقد فقدت الأسواق الأسبوعية أهميتها وبعضها اندثر نهائياً، وسوق السبت كان مسرحاً حقيقياً لكثير من هذه المظاهر الاجتماعية لما يحظى به من شعبية بين أهالي تنومة و خارجها، فهو مقر المشيخة، ومقصد التجار والمتسوقين، ومؤخراً فقد بريقه، بسبب تطور الحياة، واتساع دائرة التجارة وافتتاح العديد من الأسواق والمحلات التجارية، بالإضافة إلى سهولة التواصل بين الناس .

ومن النشاطات الاجتماعية التي مارسها الناس في سوق السبت قديماً ؛ التحاكم عند ابن العريف فيما يحدث بينهم من خلافات يوم السوق، وحكمه يكون في إطار الحكم القبلي، إما بالصلح أو بتطبيق العرف القبلي على المخالف وفق قوانين السوق، أو القبيلة. وعادة ما يصدر الحكم على المخالف بدفع غرامة مالية، أو تكيله بذبح عدد من الأغنام أو البقر تقدر حسب مخالفته، أما الأحكام الشرعية فتحال إلى القاضي المتواجد في السوق كل سبت^(١)، وأشهر من عمل بالقضاء في تنومة قبيل قيام الدولة السعودية الحديثة وبعد قيامها إلى ثمانينيات القرن الهجري الماضي الشيخ عبدالرحمن بن محمد المعروف باسم (جدعان)^(٢).

وتعتبر ساحة سوق السبت الساحة الوحيدة في تنومة؛ التي تنفذ فيها أحكام الشرع الاسلامي على المخالفين والمجرمين؛ لشهرة المكان، ولتجمع الناس فيه وبخاصة يومي الجمعة والسبت، واتساع ساحته. ونفذ فيه حد القصاص عدة مرات إضافة إلى تطبيق حد الجلد^(٣).

وتتم عقود الزواج يوم السبت؛ لوجود القاضي أو المأذون الشرعي في السوق، فيأتي إليه المتزوج وأبو الفتاة والشهود ويتم عقد القران؛ وكان الناس يستغلون يوم السبت لذلك؛ لعدم توفر وسائل المواصلات السريعة قديماً، وبعد مسافة بعض القرى عن السوق، ولانشغال الناس بأعمالهم أثناء الأسبوع، ويوم السوق فرصة لمن أراد عقد قرانه، ويحرص المأذون الشرعي على التواجد في ذلك اليوم؛ ليقضى حاجة الناس، وخاصة من يأتون من مسافات بعيدة^(٤).

(١) مقابلة مع فايز بن عوضه في متجرة بتنومة يوم الاحد (١٢/٥/١٤٣٧هـ)، الساعة ٥م.

(٢) ولد بتنومة عام (١٣١٢هـ/١٨٩٥م)، تعلم على يد والده ثم سافر إلى زيد باليمن ودرس علوم الدين والقضاء، وحصل على إجازة في ذلك وكان يعمل بالقضاء في تنومة وخطيباً يوم الجمعة في جامع السبت ويظهر كل سبت في السوق لوعظ الناس، وعقد الأنكحة توفي عام (١٣٨٧هـ). انظر ابو عراد: مسيرة الحركة الثقافية في تنومة. ص ١٦-١٧.

(٣) آخر حكم قصاص نفذ عام (١٤٢٢هـ). أما أحكام الجلد فتندف في سوق السبت وغيره من المواقع التي يوجد به تجمعات للناس. مشاهدات الباحث منذ عام (١٤١٥هـ) الى يومنا هذا.

(٤) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضه يوم الاحد (١٢/٥/١٤٣٧) في متجره الساعة ٥م. وروى أنه عقد قران إحدى بناته في ثمانينيات القرن الهجري الماضي في مسجد السبت عند الشيخ جدعان.

واستمر الوضع على ما يبدو إلى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م). أما حفلات الزواج فتقيمها قبائل الشعفين القريبة من السوق في ساحته، في أيام الأسبوع الأخرى عدا يوم السبت؛ لأن يوم السبت يوم السوق فالتوقيت غير مناسب لإقامة حفل الزواج، وهذه الاحتفالات تكون وفق المتعارف عليه بين هذه القبائل بمشاركة عدد من رجال كل قبيلة في أداء الفنون الشعبية، فالبداية بالمدقال حيث يحملون بنادق البارود، ويؤدون رقصات منسجمة مع إيقاعات (الزير والزلفة) ^(١)، ثم يأتي دور العرضة، بإلقاء أحد الشعراء قصيدة عرضة يرددها العرضة، وتحضر هذه المناسبات جماهير غفيرة من تنومة وخارجها ^(٢).

ومنذ العقد الثاني من القرن الهجري الحالي لم تعد تقام حفلات الزواج في ساحة السوق لوجود أماكن بديلة للاحتفالات من صالات أفراح واستراحات وغيرها ^(٣).

أما الختان فهو من المناسبات الاجتماعية الهامة التي تقام في سوق السبت، حيث يجتمع مجموعة من الصبية تتراوح أعمارهم ما بين (١٠ إلى ١٣ سنة) للختان أمام الناس، وبحضور أقاربهم من الرجال وأبناء عشيرتهم، ويشجع الأقارب أبناءهم على التحلي بالشجاعة والصبر عند ختانهم، وبعد عملية الختان تقام العرضات والاحتفالات بالمناسبة، وقد انتهت هذه العادة في العقد الثامن من القرن الهجري الماضي ^(٤).

وتقام في سوق السبت قديماً احتفالات العيدين بمشاركة الشيخ ابن العريف، مع أبناء قبائله. ووقت الاحتفال من بعد صلاة عصر يوم العيد إلى المغرب، تتخللها العرضات الشعبية على إيقاعات الطبول، ورائحة البارود ^(٥).

واستمرت إقامة الاحتفالات بالعيد وخاصة عيد الفطر المبارك، في سوق السبت حتى العقد الأول من القرن الهجري الحالي، ثم انتقل مقر الاحتفال إلى ساحة المحافظة حالياً (الإمارة والمركز سابقاً)، ومنذ عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) أقامت البلدية ساحة مخصصة للاحتفالات بها منصة لكبار الشخصيات، ومجهزة بالمقاعد المدرجة للجمهور، ومقرها استراحة البلدية في أعلى قرية الصفة ^(٦).

(١) الزير والزلفة: هما أنواع من الطبول مصنوعة من جلود الحيوانات، الزير يضرب بعودين وهو على الأرض، وأما الزلفة فيحملها المزلف على صدره وبطنه ويضرب عليها بيديه.

(٢) مقابلة شخصية مع الوالد عبد الله الطنيني أحد شعراء العرضة الذي حضر احتفالات عدة في السوق خلال الخمسين سنة الماضية. والمقابلة كانت في منزله يوم الخميس (١٤/٧/١٤٢٧هـ) الساعة ٧ مساءً.

(٣) مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية كونه من أبناء تنومة.

(٤) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ) في متجره الساعة ٥م.

(٥) مقابلة شخصية مع فايز بن عوضة يوم الأحد (١٢/٥/١٤٢٧هـ) في متجره الساعة ٥م.

(٦) مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية كونه أحد أبناء تنومة.

ومن الاحتفالات الأخرى التي تقام في سوق السبت؛ استقبال القبائل التي تحل في ضيافة قبائل الشعفين، فيتم استقبالهم بالترحيب ويدخل أبناء القبيلة الضيوف إلى ساحة السوق بالعرضة الشعبية، ويبدأ شاعرهم بالسلام ويرد عليه شاعر من القبائل المضيفة بالترحيب، ويستمر الحفل قرابة الساعة أو يزيد، وبعد الانتهاء يتم توزيع الضيوف بين قبائل الشعفين، لإكرامهم بذبح الخراف وتقديم كل ما يجب أن يقدم للضيف، وتهيئة مكان مناسب لنومهم، وفي الصباح يقدم لهم الإفطار من بر وسمن وعسل^(١).

ومن هذه المناسبات قدوم قبيلة آل موسى بن علي من بارق في (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ضيوفا على قبائل الشعفين في سوق السبت وأقيم حفل شعبي بهذه المناسبة، وبدأ الضيوف بالدخول إلى ساحة السوق في عرضة شعبية، واصطف المضيفون وعلى رأسهم ابن شيبلي مرحبين بمقدمهم، وكما هي العادة يقوم شاعر الضيوف بالسلام، ثم يرد عليه شاعر القبيلة المضيفة بالترحيب وجميعها أبيات عرضة، ومنها: قول الشاعر هيازع بن سليمان البارقي^(٢):

يا سلام عدما النحل من كل زهر يجمعه
صا في الشهد فيه من الدوا في القرآن معي شهود
ورد عليه الشاعر عبد الله الطنيني^(٣) مرحبا بقوله:

يا مرحبا بالضيوف ومن حضر معنا
حن بني شهر واسم الحجر يجمعنا
عدما كتب في الختمة وقارياها
جيش ابو فيصل إيلا هب طارياها^(٤)

ويعتبر هذا الاحتفال من آخر الاحتفالات التي أقيمت في سوق السبت. وانتهى هذا الدور للسوق تماما منذ العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري، وبخاصة بعد وجود قاعات الاحتفالات وقصور الأفراح في أجزاء عديدة من محافظة تنومة .

(١) مقابلة شخصية مع سعيد بن ركيان يوم الجمعة (١٤٢٧/٦/٢هـ) في إحدى المناسبات الساعة ٢٠، ٨ مساء.

(٢) هو الشاعر هيازع بن سليمان البارقي من عشيرة آل موسى بن علي، شاعر عرضة متمرس يعتبر من شعراء بارق وتهامة المميزين، حضر كثيرا من الحفلات في تهامة والسراة، وهو موظف في محافظة بارق.

(٣) هو عبد الله بن علي بن محمد آل عباس الشهري والملقب بالطنيني ولد في تنومة عام (١٣٦٨هـ)، وهو أحد الشعراء الشعبيين البارزين وله ديوانين شعريين ويعكف الآن على إنتاج ديوانه الثالث، ويتميز بمعرفته للفنون الشعبية في منطقة عسير من حيث ألحانها ونظم كلماتها وطرق أدائها، عمل بالتعليم من عام (١٣٨٦هـ إلى ١٤٠١هـ)، ثم استقال وتفرغ لأعماله الخاصة. انظر الطنيني، عبد الله: ديوان الطنيني، ط ١، [د.ن.]، أبها (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). ص ٢٥.

(٤) الطنيني، عبد الله علي: أناشيد المجد، ط ١، [د.ن.]، أبها (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م). ص ١٣٧.

ومن الاحتفالات التي شهدتها سوق السبت استقبال عدد من أصحاب السمو الأمراء ومنهم أمير عسير الأمير خالد الفيصل الذي زار تنومة عدة مرات، وأول زيارة له في عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) واستقبل في ساحة السوق وأقيم له احتفال شعبي كبير وقام بزيارة تفقدية أخرى عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ونزل في ضيافة الشيخ محمد بن شبيلي بمنزله بسوق السبت، وأقامت قبائل تنومة احتفالا في ساحة السوق بهذه المناسبة، ومن القصائد الترحيبية بالأمير ما قاله الشاعر عبدالله الطنيني^(١):

يَا مَرْحَبًا يَا خَالِدَ الْفَيْصَلِ أَمِيرَ دِيرَتِنَا وَنُورَهَا
هَذَا تَنُومَةٌ سَعَدَهَا مَقْبَلٌ يَفْرَحُ مَوَاطِنُهَا وَدُورَهَا
وَمِنَ الْمُنَاسَبَاتِ أَيْضًا زِيَارَةَ صَاحِبِ السَّمَوِ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ بَنْدَرِينَ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى
تَنُومَةٍ حَيْثُ أُقِيمَ لَهُ حَفْلٌ كَبِيرٌ فِي سَوْقِ السَّبْتِ عَامَ (١٤٠٧هـ/١٩٩٧م)^(٢).

٥. الدور التعليمي: يعتبر الجامع القديم بسبت تنومة، من أهم منابر الدعوة والإرشاد، فتقام فيه صلاة الجمعة ويجتمع فيه خلق كثير من القرى المحيطة بالسوق، والوافدين من القبائل والمناطق الأخرى. كما يوجد في هذا المسجد كتاب لتعليم الصغار القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، ففي الربع الأول من القرن الهجري الماضي كان يقوم بالتدريس فيه معلم يماني اسمه علي الشريف درس في الأزهر^(٣)، ثم المعلم عبدالله مشايخ العسيري^(٤)، واستمر التعليم في الكتاب حتى افتتاح مدرسة سبت تنومة عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ومن المجالس العلمية في سبت تنومة مجلس الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن العريف ووصفه ابو داهش^(٥) بأنه حلقة تعليمية يؤمها الدارسون وطلبة العلم من تلك البلدة^(٥)، ومن المنابر الهامة في سوق السبت مكان يسمى (الراية) في جنوب السوق وهو عبارة عن تكوين صخري مرتفع قليلا يظله شجرة رقاع كبيرة، يصعد عليه رجل مكلف من الشيخ؛ لإعلان أمر هام؛ سواء حكومي، أو دخول شهر رمضان أو العيد، أو أي شأن قبلي وما إلى ذلك، كما كان يستفيد الدعاة والوعاظ من مكان الراية يوم السوق؛ لوعظ الناس وتوعيتهم بأمور دينهم، ومن أشهر هؤلاء الوعاظ: (١) القاضي عبدالرحمن بن محمد الشهري الملقب (جدعان). (٢) عبدالله

(١) مقابلة شخصية مع الشاعر عبدالله الطنيني الشهري في منزله يوم الخميس (١٤/٧/١٤٣٧هـ)، الساعة ٧ مساءً.

(٢) الطنيني: ديوان. ص ٢١١.

(٣) أبو عراد، صالح: مسيرة الحركة الثقافية في تنومة. [د.ن.]. ابها ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م. ص ٢٢.

(٤) أبو داهش: الحياة الفكرية. ص ٤٧.

(٥) أبو داهش، عبدالله محمد: الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية. دار الاصاله، الرياض ١٩٨٢م. ص ٥٦.

ابن محمد بن حوية^(١). (٣) الشيخ عبد الله بن محمد أبو عيون^(٢). (٤) الشيخ عايض ابن احمد بن لاقى^(٣) (٥) سالم الدوسري^(٤).

وما زال جامع السبت الجديد يقوم بالدور ذاته في التوعية والإرشاد والتعليم، فتقام فيه صلاة الجمعة، والدروس والمحاضرات الدينية، كما يوجد به أكبر حلقة تحفيظ للقران الكريم في تنومة، حيث وصل عدد المتحقيين بها عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (٩٦) طالبا، وفي العام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) (٥٧) طالبا^(٥).

تم افتتاح مدرسة ابتدائية في سبت تنومة في عام (١٣٧٥هـ/١٩٦٥م) وأول مدير لها عبد العزيز بن زاهر العسبلي^(٦)، واستؤجر بيت محمد بن فايز ابن العريف في غرب السوق ليكون مقرا لها^(٧)، وهي أول مدرسة ابتدائية تفتتح في تنومة، والثالثة على مستوى بني شهر وبني عمرو، بعد المدرسة السعودية في النماص عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، ومدرسة الأشعب عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م)^(٨).

(١) ولد في مليح شمال تنومة عام (١٣٢٨هـ)، درس العلم في المسجد الحرام، تنقل لطلب العلم في داخل المملكة، حصل على اجازة تؤهله للقضاء من الشيخ عبدالرحمن بن شيبان قاضي النماص، اشتهر بالوعظ والارشاد والاحتساب، كان يظهر للوعظ يوم السبت بسوق سبت تنومة. للمزيد، انظر ابو عراد: مسيرة الحركة الثقافية في تنومة. ص ٢٠-٢١.

(٢) ولد بسراة عبيدة، تعلم في زييد باليمن، عمل بالقضاء في ربيعة ورفيدة، ثم انتقل إلى بلسمر وعمل معلما، ثم قاضيا لبلاد بلسمر وبلحمر لمدة (٢٥) عاما، استقر في قرية ال الصعدي بتنومة، وكان من الوعاظ بسوق السبت، ويعقد الأنكحة. للمزيد انظر: أبو عراد: مسيرة الحركة الثقافية. ص ١٩.

(٣) ولد بتنومة عام (١٣٠٨هـ)، تعلم بجامع السبت (هذا دليل على أهمية هذا المسجد العلمية، وان التعليم كان به مبكرا على الأقل منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري) . للمزيد انظر: أبو عراد: مسيرة الحركة الثقافية. ص ١٩.

(٤) كان أحد الأخوياء بالإمارة في النماص، وكان يأتي مع بعض موظفي المالية لجمع رسوم السوق وضبط الأمن فيه، وكان لديه شيء من العلم فيستغل ذلك لوعظ الناس يوم السبت،، مقابلة شخصية: مع الوالد عبد الله علي الشهري الذي يعرفه شخصا في آخر حياته . المقابلة في منزله في يوم الاربعاء (١٤٣٧/٦/٦ الساعة ٥م

(٥) حصول الباحث على وثيقة من جمعية تحفيظ القران بتنومة تبين إحصائية طلاب حلقة التحفيظ بجامع السبت لعامي (١٤٣٦/١٤٣٧هـ)

(٦) العسبلي: النماص. ص ١٤٧. عبد العزيز بن زاهر العسبلي من مواليد النماص في النصف الأول من القرن (٢٠هـ/٢٠م)، عمل في التعليم بمدارس النماص، فكان مديرا للمدرسة السعودية في الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم انتقل إلى تنومة وعمل معلما ثم مديرا لابتدائية سبت تنومة، كما عمل في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستقر بتنومة حتى وفاته في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١٢م)

(٧) مقابلة شخصية مع الأستاذ ابراهيم بن عائض الشهري أحد رواد التعليم في تنومة. يوم الأربعاء (١٤٣٧/٦/٦ الساعة ٥،٣٠ مساء.

(٨) العسبلي: النماص. ص ١٤٤-١٤٧. وللمزيد عن التعليم في منطقة عسير وفي بلاد بني شهر انظر، ابن جريس غيثان: تاريخ التعليم في مطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م). دار البلاد، جدة (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، (الجزء الأول)، ص ٦٤ وما بعدها. وللمؤلف نفسه، عسير في عصر الملك عبدالعزيز. (١٩٩٩م) ص ٦٧.

وانتقلت المدرسة في بداية القرن الهجري الحالي إلى مبنى حكومي يبعد عن سوق السبت حوالي (٣٠٠م)، وتغير مسمى المدرسة من ابتدائية سبت تنومة إلى مدرسة الإمام البخاري. وفي عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) افتتحت مدرسة سبت تنومة المتوسطة، ملحقة بالمدرسة الابتدائية، ثم فصلت عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) افتتحت ثانوية سبت تنومة وألحقت بالمدرسة المتوسطة^(١)، وأول مدير للمدرسة المتوسطة الأستاذ إبراهيم بن عائض الشهري، وبعد افتتاح الثانوية أضيفت إليه إدارتها مع المتوسطة حتى تقاعده عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)^(٢). وكان مبنى المدرستين المتوسطة والثانوية في مبنى مستأجر، يقع شمال السوق ويبعد عن ساحته حوالي (٢٠٠) متر، وما زال المبنى القديم قائماً إلى يومنا هذا^(٣)، ومن الملاحظ أن اختيار موقع هذه المدارس في سوق السبت كان مدروساً؛ لموقع السوق المتوسط بين القرى، ولأن منطقة السوق منطقة نشطة سكانياً، وعمرانياً، وتجارياً. وفي عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) انتقلت المدرستان المتوسطة والثانوية إلى مبنى آخر مسلح قريب من سوق السبت لا يبعد عنه سوى (٣٠٠م)^(٤)، ثم انتقلت إلى مبنى حكومي عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)^(٥).

والدارس لوضع السوق منذ العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري إلى يومنا هذا يلاحظ تلاشي أهميته في حياة الناس العامة، فلم يعد له تلك الهيبة والبريق التي حظي بها طوال القرن الرابع عشر الهجري إلى العقد الأول من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، فقد تحول مواعده إلى يوم الجمعة بدلاً من السبت. ويرجع سبب تغيير مواعده ليوم الجمعة إلى تفرغ الناس يوم الجمعة للتسوق وتعودهم على ذلك منذ أن كانت الإجازة الأسبوعية الخميس والجمعة، باعتبار يوم السبت أول يوم عمل فلا يستطيع الموظفون ترك أعمالهم ويذهبون للسوق، ورغم تغيير إجازة نهاية الأسبوع إلى الجمعة والسبت^(٦)؛ إلا أن الناس اعتادوا على التسوق يوم الجمعة. ولم يزل هناك بعض الأثر البسيط في حياة الناس، فهناك من يحرص على ارتياده من باب إحيائه واستمراره. وإذا قورن ببعض الأسواق الأسبوعية الأخرى في عسير أو خارجها؛ لوجدنا حاله أفضل بكثير من غيره فمنها الذي اندثر نهائياً.

(١) أبو عراد: مسيرة الحركة الثقافية. ص ٦٧-٧٠.

(٢) العسيلي: النماص. ص ١٤٧.

(٣) زيارة ميدانية لموقع المدرسة القديم يوم الاثنين ٤/٦/١٤٢٧هـ الساعة ٣٠، ٤م.

(٤) درس الباحث في هذا المبنى المرحلة المتوسطة عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

(٥) مقابلة شخصية مع الأستاذ إبراهيم بن عائض الشهري أول مدير للمدرسة المتوسطة والثانوية بسبت تنومة. في منزل الشيخ فراج بن سعد يوم الأربعاء (١٥/٦/١٤٢٧هـ)، الساعة ٧ مساءً.

(٦) كانت إجازة الأسبوع الخميس والجمعة، ومنذ عدة سنوات تم تغييرها إلى الجمعة والسبت. معاصرة الباحث لهذا التغيير.

ومن العوامل التي ساهمت في فقدان سوق السبت لبعض مكانته ودوره؛ ما يلي؛ (١) تزايد عدد الأسواق التجارية في تنومة والمكتظة بمختلف السلع. (٢) سهولة التواصل بين الناس، عبر وسائل الاتصال المختلفة، وتوفير وسائل الإعلام فلم يعد بحاجة للذهاب لسوق السبت للسلام، أو لقاء صديق، أو سماع خبر. (٣) تغير فكر الناس وبخاصة الأجيال الجديدة التي لا تهتم كثيراً بمثل هذا السوق أو الأماكن المشابهة من حيث تقدير القيمة التاريخية والحضارية والتراثية لها. (٤) اتساع تنومة، وتطورها عمرانياً وتموياً، وتزايد أعداد السكان، جعل الناس يفضلون قضاء حوائجهم من أقرب الأسواق إليهم، دون الذهاب بعيداً. (٥) دور بلدية تنومة ضعيف تجاه إحياء السوق، رغم أنها بذلت فيه جهداً كبيراً من حيث توسعته وتأسيس بنيته التحتية إلا أنها لم تجد الحلول المناسبة لتشغيله بالشكل المطلوب. **ويمكنها تطبيق بعض الإجراءات التي تساعد في إعادة السوق لنشاطه ومنها؛** (أ) إجبار أصحاب البسطات المتناثرة في الشوارع في مدينة تنومة على الذهاب إلى سوق السبت. (ب) عمل (أكثاك) صغيرة مجانية للشباب الصغار يبيعون فيها المشروبات وبعض الأطعمة، بدلاً من اتخاذهم أرصفة الشوارع أماكن للبيع، مما يعرضهم لخطر السيارات وحرارة الشمس. (ج) إقامة المناشط السياحية الصيفية في السوق. (د) تفعيل دور الاسر المنتجة، وأصحاب البسطات في شهر رمضان بحيث يكون سوق السبت سوقاً رمضانياً على مدار الشهر^(١).

سادساً: الخاتمة؛

كان تركيزي في هذه الدراسة على التطور الحضاري والتاريخي لسوق السبت تنومة خلال العصر الحديث، وقد توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات منها:

(١) أن عمر هذا السوق حسب ما هو موثق في المصادر لا يتجاوز (١١٥) عاماً، وهذا لا ينفي أن له تاريخاً قبل ذلك وفق الروايات الشفهية المتواترة. ولكن التاريخ لا يعترف إلا بما هو موثق. (٢) إن هذا السوق من أهم الأسواق في منطقة عسير خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). (٣) كانت لهذا السوق أدواراً سياسية هامة في النصف الأول من القرن (١٤هـ/٢٠م). (٤) حظي سوق السبت بمكانة خاصة في قلوب سكان تنومة عبر السنين لم تتغير عند بعضهم لأنه يمثل لهم تراثاً تاريخياً وحضارياً. (٥) لهذا السوق أدوار حضارية هامة في حياة سكان تنومة قديماً، فكان يمثل لهم المقر السياسي

(١) الدارس لأوضاع السياحة في منطقة عسير يجد قصوراً كبيراً من قبل الجهات المنظمة للأنشطة السياحية، وتعد الأسواق الأسبوعية والقرى القديمة والأعراف والتقاليد المختلفة من الأمور المهمة التي يجب إحيائها وتوظيفها لخدمة السياحة، وإعطاء صورة حضارية لبلدات وقرى منطقة عسير، ونأمل من المؤسسات الإدارية والأهلية أن تلتفت لهذه الجوانب وتسعى إلى تفعيلها في حياة الناس. (ابن جريس)

والاقتصادي والاجتماعي. (٦) إن هذا السوق حظي باهتمام بعض المؤرخين والرحالة من عرب، وأتراك، وأوربيين خلال القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي. (٧) إن سوق السبت واكب التطور الحضاري والتنموي الذي تعيشه بلادنا، من حيث التوسعة والسفلة والإنارة وبناء المحلات التجارية، والمرافق الخدمية. رغم أن ضريبة ذلك فقدانه لكثير من معالمه التاريخية.

ومن التوصيات : (١) إن منطقة عسير غنية بكثير من الأماكن التي تحتاج الى دراسات تاريخية وحضارية متعمقة، ففي جبال السراة وسهول تهامة القرى والحواضر والآثار والطرق والأسواق والعادات والتقاليد والثقافات المختلفة وغيرها الكثير التي تحتاج الى جهود الباحثين في التنقيب عنها وحفظها للتاريخ. (٢) هناك أدوار مهمة للجهات الحكومية يجب أن تقوم بها وعلى رأسها المحافظة، والبلدية، والهيئة العامة للسياحة والآثار؛ للاهتمام بسوق السبت والمحافظة عليه وإعادة مواعده الأسبوعي القديم، وتفعيل المناشط المختلفة فيه، كما أن على المشايخ والأعيان والمثقفين من أبناء تنومة مسؤولية كبرى في إحياء هذا السوق، للاستفادة منه كواجهة سياحية لتنومة، بإقامة الملتقيات الصيفية، والمناشط الثقافية الأخرى، والمناسبات الرسمية، والاحتفالات الشعبية. (٣) إن الجميع يشترك في مسؤولية المحافظة على المواقع التاريخية من قرى أثرية وحصون وأسواق قديمة. ففي تنومة نشاهد الكثير من القرى القديمة والحصون التي تهدم أمام أعيننا وينقرض تاريخها دون أن نحرك ساكنا، ناهيك عن باقي المواقع في جنوبي المملكة العربية السعودية.

رابعاً : رأي ووجهة نظر^(١) :

هذان العملان العلميان من طالبين جادين ، أحدهما من تهامة بني شهر و الآخر من سراتها، وقد اجتهدا في دراستهما لبعض الأسواق في هذه الديار الشهرية . ولا نقول إن هذين المجهودين قد استوفيا جميع الشروط العلمية الأكاديمية ، لكن ما نحن متأكدون منه ، أن مادة هاتين الدراستين جديدتان في معلوماتها ، كما أن صاحبها قد بذلا ما في وسعهما من جمع و تنسيق و ترتيب و توثيق و شبه تحليل ، ونأمل منهما أن يطورا هذين البحثين حتى يكونا كتابين مستقلين مع مراعاة تمديد الفترة الزمنية، والمساحة الجغرافية . فالابن حسن يستطيع أن يوسع دراسته حتى تشمل تهامة عسير خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) . أما الابن رشاد فيمكن أن يمدد زمن ومكان دراسته حتى تشمل جميع الأسواق في بلاد رجال الحجر، أو في بلاد بني شهر وبني

(١) هذا المحور من إعداد صاحب الكتاب (ابن جريس).